# محور
# الدراسات الإسلامية

جولة المبتدي

# الاشتراطات الزمنية وأثرها في مفهوم الجهاد
# قراءة في المضمون والدلالة والواقع

**أ.م.د. حيدر شوكان سعيد**
**جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية**

**المقدمة :**

الحمد لله رب العالمين والصلاةُ والسلامُ على سيد الخلق أجمعين محمدٍ بن عبد الله الذي اصطفاه الله تعالى برسالته، فصدعَ بالتبليغ والبيان، وعلى آله الطيبين الطاهرين. تعيش بعض المفاهيم في دلالاتها ومضامينها مراحل من التطور والتبدل، فتأخذ مناحي مختلفة عن المضمون الأول الذي وضعت من أجله، وكل ذلك نتيجة لدلالات الواقع الذي تعيش معه جدلية في التأثر والتأثير. وهذا الأمر نجده جليًّا في بعض المفاهيم الدينية، التي قد يتصور بعضهم -للوهلة الأولى- أنها ثابتة من دون تحول وتغيّر، نتيجة لانتزاعها من نصوص الوحي، إلَّا أنَّ المسح التاريخي يكشف لنا أنها خاضعة لاشتراطات التاريخ الزمني، فالرصد الظرفي سيمنحنا صورة أوضح وأغنى في التتبع والكشف عن مراحل التطور والسكون. ومن هذه العنوانات الجهاد، الذي ترك أثرًا مهمًّا في صياغة النظرية التشريعية التي رسم فيها الخطوط الإستراتيجية في العلاقات الخارجية والداخلية للكيان الإسلامي. فالجهاد ركيزةٌ أساسيةٌ في أحكام الإسلام وشريعته، وقد تضافرت النصوص التي بيّنت عظمته في ميادين الثقافة والسياسة والاجتماع، ودلّ العقل على موجباته دلالة قاطعة. وقد عالجت كتب الفقهاء أغلب ما له علاقة بالجهاد من: مفهوم الجهاد وفلسفته، ووقت

وجوبه، وعنوان تحقق الوجوب الكفائي، أو العيني، وفضل الشهادة، ومكانة الشهيد، وحكم المجموعات التي تخرج على الحكم الإسلامي وتعارضه، وأحكام الغنائم، وأوضاع أهل الذمة وجزيتهم، وهلم جرّا. ولم يحصل تبدل وتحول في الأعم الأغلب من أحكام الجهاد إلَّا مع إطلالة عصر النهضة في القرن العشرين، نتيجة لعوامل وظروف عديدة، كان من أبرزها عاملين: الأول: التحدي الذي واجهته الأمة الإسلاميَّة بتصديها للاستعمار الأجنبي الأوربي الذي غزا الشعوب الإسلاميَّة، وجثم على صدرها، فاستوجب إحياء المفاهيم الجهاديّة وتنشيطها.

الثاني: الأثر المعرفي والثقافي للنموذج الغربي الوافد مع هذا الاستعمار، والذي تأثرت به شريحة من المثقفين والسياسيين الذين عللوا قبولهم له بوصفه نموذجًا عالميًا، وبأنَّه يقوم على ضفيرة من الأسس التي لم تكن متوافرة في التجارب الحضارية السابقة، بما فيها التجربة الإسلاميَّة، مثل التنظيم العقلاني لشؤون الاقتصاد وأجهزة الدولة، واعتماد العلم والصناعة، والتبشير بقيم جديدة، قيم الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية وغيرها، ومن ثمَّ لا نملك إزاءه إلَّا القبول. فاستوجب هو الآخر إعادة قراءة مضامين الأدلة الشرعية التي تستوعب طبيعة التشكل العالمي والمدني المعاصر وتحيط به.

وتكمن أهمية هذا البحث في أن الكشف عن مفهوم الجهاد في الفقه الإسلامي وجدليته مع التجربة الدينية، يعد أمرًا مركزيًا تقتضيه تحولات الواقع ودلالاته، ليس فقط على النص (القرآن والصحيح من السنة) وإنما على التأويلات المتعسفة التي صاغتها بعض الاتجاهات السلفية الجهادية، ومحاولة فرضها كتفسير يقيني للنص والثقافة الإسلاميَّة، وعدم الاعتراف بالتقدم الحضاري واستحقاقاته. ما جعل القراءة الحرفية للنص تصطدم بالواقع المتطور إضطرادًا.

يعرض البحث في فرضيته لموضوع التبدلات والزيادات التأويلية المتسارعة التي جرت في مفهوم الجهاد على أكثر من صعيد وفي أكثر من تجربة، فإذا وقفنا على هذا المفهوم في أصله اللغوي نجده

يتكون من الجذر الثلاثي (ج هـ د)، ودلالاته في الوضع اللغوي تتسع إلى بذل الوسع والطاقة في حقول القتال، والبرهان، والمال، والدعوة وغيرها. من دون أن تطوق في عنوان مخصوص. لكن القراءات الملتبسة في ثلاثية النص والفكر والتجربة العملية بكل عناصرها ومستوياتها، جعلت بعضهم - كالسلفية والدوائر الغربية إما جهلًا وإما تجاهلًا- يسحب الجهاد من بعده الروحي والثقافي ويدفعه إلى زاوية حرجة تمثلت في الحرب. نعم الفقهاء في تعريفاتهم استعملوا الجهاد في القتال مع وجود عنوانين هما: (الكفار) و (في سبيل الله)، فيكون الجهاد عندهم: «هو قتال الكفار في سبيل الله «، وقد تم تسليط الضوء على هذا الجانب بشكل كبير، إلَّا أن هذا التعريف ورد على نحو الإجمال لا على نحو الحد والدقة. واستعمله المتصوفة بعنوان مجاهدة النفس ومكابدتها بوصفه من مسالك الطريق إلى الله. أما رواد الإصلاح الديني كالسيد جمال الدين الأفغاني(ت١٨٩٧م)، والشيخ محمد عبده(ت١٩٠٥م)، فقد ورد استعمال الجهاد عندهم بفهم يتناغم مع التربية والتعليم والتنمية والنهضة والتعايش الحضاري بوصفها معالم العصر الحديث التي توجب بذل الجهد، مع أنهم لم يفردوا له بحثًا مستقلًا بل قاربوه في مضمار تفسير بعض الآيات التي عرضت للجهاد. وقد كُتبتْ في هذا الحقل دراسة موسومة بـ (تطور مفهوم الجهاد) للمحمود محمد أحمد، ومع أهميتها في الاستقراء غير أنها طوقت نفسها في ساحات معرفية دون الانفتاح على بقية المدارس الإسلاميَّة القديمة والمعاصرة وبيان موقفها، مع افتقارها لبعض الجوانب العلمية والفنية المهمة. وعليه، سيكون التتبع والمسح التاريخي مستوعبًا لآراء الساحة الإسلاميَّة، مع بيان الصورة الغربية عن مفهوم الجهاد.

وبذلك نلحظ أن هذا العنوان له دلالاته وتأويلاته، التي ينبغي تتبعها والوقوف عليها. لبيان علاقة التأثر والتأثير بين المفهوم واشتراطات الواقع التاريخي. وقد بنيت الدراسة على مباحث سبعة تسبقهن توطئة، وتعقبهن خاتمة. والمباحث، هي :

المبحث الأول: مفهوم الجهاد في اللغة.

المبحث الثاني: مفهوم الجهاد في

الوضع الشرعي «القران الكريم والسنة والشريفة».

المبحث الثالث: مفهوم الجهاد في نصوص الفقهاء.

المبحث الرابع: مفهوم الجهاد عند المتصوفة.

المبحث الخامس: مفهوم الجهاد عند السلفيّة.

المبحث السادس : مفهوم الجهاد عند رجال الإصلاح الديني في العصر الحديث.

المبحث السابع : مفهوم الجهاد في المنظور الغربي.

**توطئة :**

قبل أن أوضح المراد من مفهوم الجهاد من اللازم أن أمهد لحقيقةٍ علميةٍ تفيدنا في البيان، وهي أن علماء أصول الفقه يقسمون اللفظ بحسب المعنى المستفاد منه على أربعة أقسام، وهي: الحقيقة ، والمجاز ، والكناية ، والصريح[1].

والمهم في بحثنا مطالعة الحقيقة أو ما خرج من الحقيقة إلى المجاز . والحقيقة «هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في وضع أوّل»[2] والمجاز ، «هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له، في أصل تلك المواضعة، للعلاقة»[3]. والحقيقة: لغوية، وعرفية، وشرعية، واصطلاحية. ولكي نعرف بيان مفهوم الجهاد علينا أن نقف على المراد من هذه العناوين:

أولًا: الحقيقة اللغوية: هي ما كان وضعه بيد واضع اللغة كالحجر والشجر.

ثانيًا: الحقيقة الشرعية: هي استعمال الاسم الشرعي فيما كان موضوعًا له أوّلًا في الشرع، سواء أكان الاسم الشرعي ومسماه معروفَين عند أهل اللغة ، أو غير معروفين. غير أنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى، أو عرفوا المعنى، ولم يعرفوا الاسم ولم يعرفوا ذلك المعنى كاسم الصلاة، والحج، والزكاة، ونحوه . وكذلك اسم الإيمان والكفر. ولكن ربما خصت هذه بالأسماء الدينية[4].

ثالثًا: الحقيقة العرفية اللغوية: وهي اللفظة التي انتقلت من مسماها اللغوي إلى غيره؛ للاستعمال العام في اللغة فهُجر الأول، وهي قسمان:

الأول: أن يكون الاسم قد وضع لمعنى عام، ثم يخصص بعرف استعمال أهل اللغة ببعض مسمياته، كاختصاص لفظ الدابة بذوات الأربع

عرفًا، وإن كان في أصل اللغة لكل ما دبَّ. وذلك إما لسرعة دبيبه أو كثرة مشاهدته، أو كثرة استعماله، أو غير ذلك.

الثاني: أن يكون الاسم في أصل اللغة بمعنى، ثم يشتهر في عرف استعمالهم بالمجاز الخارج عن الموضوع اللغوي، فلا يُفهم من اللفظ عند إطلاقه غيره، كاسم الغائط، فإنه -وإن كان في أصل اللغة للموضع المطمئن من الأرض- قد اشتهر في عرفهم بالخارج المستقذر من الإنسان، فلا يُفهم من ذلك اللفظ عند إطلاقه غيره. ويمكن أن تكون شهرة استعمال لفظ الغائط للخارج المستقذر من الإنسان؛ لكثرة مباشرته وغلبة التخاطب به مع الاستنكاف من ذكر الاسم الخاص به؛ لنفرة الطباع عنه، فكنوا عنه بلازمه، أو لمعنى آخر[٥].

رابعًا: الحقيقة العرفية الخاصة: وتُسمى (بالاصطلاح)، وهو اللفظ الذي وضع لغة لمعنى، واستعمله أهل العرف الخاص في غيره، وشاع عندهم استعماله في غير موضعه الأصلي، حتى صار لا يُفهم منه عندهم إلَّا هذا المعنى كالرفع والنصب والجر عند النحويين. وعليه فالمشتغلون بأيّ نوع من هذه الأنواع المعروفة للحقيقة إذا استعملوا اللفظ في غير المعنى الشائع عندهم لقرينة تدل على المعنى المراد كان ذلك مجازًا في استعمالهم[٦].

ولكي نتتبع المراد من مفهوم الجهاد وملاحظة تطورات الواقع الدلالية كان اللازم البحث في الوضع اللغوي، والوضع الشرعي(القرآن والسنة) ، والوضع العرفي الاصطلاحي . مع بيان الزيادات الحادثة في العصور المتأخرة .

**المبحث الأول: مفهوم الجهاد في اللغة.**

لما كان نزول القرآن في بيئة العرب ولغتهم، كان الوقوف على المراد اللغوي ضرورة أولية لمعرفة البيان التشريعي من مفهوم الجهاد، والذي يملك الوضع في اللغة هم العرب المعتد بعربيتهم، وهم قوم محصورون في حدود معينة من المكان والزمان. فالمكان: هو شبه جزيرة العرب. والزمان: هو آخر المائة الثانية لعرب الأمصار، وآخر المائة الرابعة لأعراب البوادي[٧].

الجهاد لغةً: مصدر الفعل الرباعي:

جاهَدَ، على وزن (فِعال) بمعنى: المُفاعلة والمشاركة من طرفين. مثل: الخصام بمعنى المخاصمة، مصدر (خاصم). والجدال بمعنى المجادلة، والفعل الثلاثي لكلمة جهاد: (جهد). ويجد الباحث عند وقوفه على مادة (جهد) في المصنفات اللغوية أنّ لها معاني عديدةً، قد تبلغ عشرين معنى، والمعاني اللغوية المناسبة للجهاد مناسبة واضحة من دون تكلف هي: الوسع، والطاقة، والمشقة، والمبالغة، والقتال.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) : (جهد : الجهد : ما جهد الإنسان من مرض، أو أمر شاقّ فهو مجهود. والجُهد : شيءٌ قليل يعيش به المقل على جهد العيش. والجَهد: بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو عن الجهد فيه. تقول: جَهدت جَهدي، و اجتهدتُ رأيي ونفسي حتى بلغت مجهودي، و جهدت فلانًا: بلغت مشقته، وأجهدته على أن يفعل كذا. وأجهد القوم علينا في العداوة. وجاهدت العدو مجاهدة، وهو قتالك إياه)[٨].

والمعنى العام للجذر اللغوي عند الجوهري (ت٣٩٣هـ) هو ما جاء بقوله: (الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة . وقرئ :﴿والذين لا يجدون إِلَّا جهدهم ﴾[٩] وجهدهم . قال الفراء : الجهد بالضم الطاقة. والجهد بالفتح من قولك: اجهد جهدك في هذا الأمر، أي ابلغ غايتك. ولا يقال: اجهد جهدك. والجهد: المشقة. يقال: جهد دابته وأجهدها، إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وجهد الرجل في كذا، أي جدّ فيه وبالغ. والجهاد بالفتح: الأرض الصلبة. وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهادًا. والاجتهاد والتجاهد : بذل الوسع والمجهود.)[١٠]

وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) :(«جهد» الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه. يقال جهدت نفسي وأجهدت والجهد الطاقة . قال الله تعالى :﴿ والذين لا يجدون إلا جهدهم ﴾.)[١١]

وقال ابن الأثير (ت٦٠٦هـ): (الجهاد: محاربة الكفار، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. يقال: جهد الرجل في الشيء: أي جد فيه وبالغ)[١٢].

وقال ابن منظور(ت٧١١هـ) : ( جهد : الجَهْدُ والجُهْدُ : الطاقة ، تقول : اجْهَد

جَهْدَك ؛ وقيل : الجَهْد المشقة والجُهْد الطاقة . الليث : الجَهْدُ ما جَهَد الإِنسان من مرض أَو أَمر شاق ، فهو مجهود ؛ قال : والجُهْد لغة بهذا المعنى . وفي حديث أُمِّ معبد : شاة خَلَّفها الجَهْد عن الغنم؛ قال ابن الأَثير: قد تكرر لفظ الجَهْد والجُهْد في الحديث ، وهو بالفتح ، المشقة ، وقيل : المبالغة والغاية ، وبالضم ، الوسع والطاقة ؛ وقيل : هما لغتان في الوسع والطاقة ، فأَما في المشقة والغاية فالفتح لا غير ؛ ويريد به في حديث أُم معبد في الشاة الهُزال ؛ ومن المضموم حديث الصدقة، أَيُّ الصدقة أَفضل؟ قال : جُهْدُ المُقِلِّ، أَيْ قدر ما يحتمله حال القليل المال .. والجهاد محاربة الأَعداء ، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أَو فعل .) [١٣]

وقال الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) : (الجهد : الطاقة ، ويضم ، والمشقة . واجهد جهدك : أبلغ غايتك .. وجهد جاهد : مبالغة . وكسحاب : الأرض الصلبة لا نبات بها ، وثمر الأراك ، وبالكسر : القتال مع العدو ، كالمجاهدة . وأجهد الشيب : كثر ، وأسرع .)[١٤]

ويتضح لنا أنّ الجهاد لغة: هو بذل الوسع والطاقة وتحمل المشقة، وتوفير الإمكانات في سبيل تحقيق غاية ومراد معين. ( فمجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس، تدخل في قوله تعالى: ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده﴾[١٥]) [١٦]. ومعاني الجهاد المتقدمة في اللغة (لا تُستعمل إلّا فيما فيه كلفة وجهد، فيقال: اجْهَد نفسه في حمل حجر الرحا، ولا يقال اجهدها في حمل خردلة ).[١٧]

فالمشقة والتعب التي يتكلم عنها في الجهاد ليست المشقة المعتادة بل المشقة المجحفة التي لا يمكن تحملها بالصورة الطبيعة ، بل تحتاج إلى طاقة و (صبر) بحسب الاصطلاح القرآني .[١٨]

ويقتضي الجهاد وجود جهتين أو طرفين يتنازعان ويبذلان الوسع والطاقة . ولا يقتصر على الفعل ، بل يتشعب ويتسع إلى الجهاد بالقول فالجهاد بالقول جهاد بياني ، وخطابي ، وبرهاني ، وحجتي ، ودعوتي ، وإعلامي ، .. إلخ . والجهاد بالفعل زجّ للإمكانيات والقوى والقدرات والخبرات والرؤى والقيم في ساحة

المعركة والاشتباك ، إذ يستبدل إرهاق المدد والكلام بالدم .[١٩]

وقد يتحقق الجهاد بلا قول أو فعل كمن يمتنع عن طاعة والدَيْه فيما يأمرانه به من معصية، ويصبر على إلحاحهما في طلب ذلك منه [٢٠]، وكمن يعف عن إشباع شهوةٍ حرام، وقد نازعته نفسه إليها . وفي هذا ما قيل إن « الجهاد هو الصبر على الشدَّة، وقد يكون في الحرب، وقد يكون في النفس » فيكون الطرف الآخر الذي يبذل الوسع والطاقة في دفع عدوانه وغائلته هو النفس ، أو الشيطان ، أو الكفار المعتدون .[٢١]

والظاهر أنَّ التتبع التاريخي لمفهوم الجهاد في اللغة والاصطلاح لم يتوفر إلَّا في المصادر القريبة من عصرنا، فالتهانوي (ت١١٥٨هـ) عدّ المفهوم اللغوي للجهاد أعمّ من مفهومه الشرعي، فإن كان في اللغة يرد بمعنى بذل الوسع وتحمل المشقة في القول والفعل، فإنَّه في الشريعة يدلّ على قتال خصوص الكفار، ويشير أيضًا إلى أن هذا المفهوم عندما ولج الاتجاهات الصوفيَّة أخذ دلالة جديدة، وهي المعبر عنها بحمل النفس على المشاق البدنية ومحاسبتها، ومخالفة الهوى بصدها عن الشهوات واللذات .[٢٢]

ونجد القراءة التاريخية عند بطرس البستاني(ت١٨٨٣م) ، فقد ميز بين مرحلتين زمنيتين من مراحل تطور المفهوم، ففي مرحلة ما قبل ظهور الإسلام كانت مجاهدة العدو تعني مقابلته في تحمل الجهد والتعب، لكن بعد الإسلام غلب مفهوم الجهاد على قتال الكفار ونحوه .[٢٣]

## المبحث الثاني: الجهاد في الوضع الشرعي (القرآن الكريم والسنة والشريفة).

عند قراءة نصوص القرآن والسنة التي عرضت لمفهوم الجهاد في حقله الدلالي نجدها تتباين بعض الشيء فيما بينها، إذ استعمله القرآن بمفهومه اللغوي المتسع للمعاني المتقدمة في المطلب الأول، ولاسيَّما القرآن المكي، بينما نجد نصوص السنة قد أكثرت من استعمال الجهاد بعنوان القتال، ولمعرفة ذلك التباين نجعل كل عنوان بصورة مستقلة .

### المطلب الأول: مفهوم الجهاد في السياق القرآني.

الوقوف على السياق القرآني الذي

تناول مفهوم الجهاد ، يجعلك أمام مرحلتين زمنيتين، استجابة كل منهما لدلالات الواقع وأثرت في البناء والمضمون ، وهي المرحلة المكية ، إذ لم يشرع الجهاد- القتالي- بعد واقتصر على معنى البذل والوسع والطاقة ، والمرحلة المدنية- نسبة إلى المدينة المنورة- هي من وسعت في البناء الدلالي لمفهوم الجهاد وأدخلت عنصر القتال، مع إضافة عنوان (في سبيل الله).

«والتفرقة بين المكي والمدني في النص تفرقة هامة بين مرحلتين هامتين ساهمتا في تشكيل النص سواء على مستوى المضمون أم على مستوى التركيب والبناء . وليس لذلك من دلالة سوى أن النص ثمرة للتفاعل مع الواقع الحي التاريخي»[٢٤] ومعايير التتبع الدلالي للمفاهيم يجب أن تستند إلى النص من جهة، وإلى الواقع من جهة أخرى، إلى الواقع من جهة أن حركة النص ارتبطت بحركته، وإلى النص من جهة مضمونه وبنائه، ذلك أن حركة النص في الواقع تنطبع آثارها في جانبي النص . فإذا نظرنا إلى الظروف المحيطة بالنص ندرك أن حدث (الهجرة) من مكة إلى المدينة لم يكن مجرد انتقال في المكان . وإذا كانت مرحلة الدعوة في مكة لم تكد تتجاوز حدود (الإنذار) إلى حدود الرسالة وارتباطها في كيان ومجتمع له طابعه الخاص . والفارق بين (الإنذار) و(الرسالة) أن الإنذار يرتبط بمكافحة الأفكار القديمة على مستوى الفكر والدعوة إلى المفاهيم الجديدة . إن الإنذار بهذه المثابة تحريك للوعي لإدراك فساد الواقع والنهوض ثم تغييره . والرسالة تعني بناء المنظومة الفكرية والقيمية والتشريعية للمجتمع الجديد[٢٥].

إن معيار التصنيف الذي يستند إلى الواقع يجب أن يقوم على أساس التفرقة بين هاتين المرحلتين . والتسمية (المكي والمدني) يجب أن لا تكون إشارة للمكان فحسب، بل يجب أن تكون إشارة إلى مرحلتين تاريخيتين . ومن هذه النقطة نختار التصنيف الذي يرى : أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعدها ، سواء نزل بمكة أم بالمدينة ، عام الفتح أم عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.[٢٦]

بعد هذه الوقفة المهمة في التفريق بين المكي والمدني ننتقل لبيان العنوان

على أرض الواقع ، لقد ذكر مفهوم الجهاد ومشتقاته حوالي ٣٤مرة في القرآن الكريم، وذلك يؤشر على أنه ابتكار قرآني ، كما يرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .[٢٧]

فمادة الجهاد في الآيات المكية تدل على الوضع اللغوي العام، وهي ثلاث آيات في سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٢٨]، وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٩]، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٠]

وفي سورة لقمان وردت آية واحدة ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣١] . وما جاء في سورة الفرقان ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[٣٢] ، واختلف المفسرون[٣٣] في تأويل هذا المصطلح في الآية الأخيرة اختلافًا جليًا ، فما هي أداة الجهاد التي تخاطب بها الآية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقيل : إنها القرآن الكريم ، «وإذ كان بالقرآن فالمراد تلاوته عليهم وبيان حقائقه لهم وإتمام حججه عليهم»[٣٤] . وقيل : إنها الإسلام ، وقيل : إنها السيف . والاحتمال الثالث ضعيف، لأنَّ الحقيقة التاريخية تقول : الأمر بالجهاد المسلح لم يكن قد نزل في مكة، ومن ثَّم لا مجال لحمل﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ على السيف.

وأما آية الجهاد في سورة النحل المكية ، فقد تضمنت ذكر الهجرة مما يدل على أنها آية مدنية ضمن سور مكية . والآية هي ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٣٥]

وأما مادة الجهاد في الآيات المدنية فبلغت ٢٦كلمة . وأكثرها يدل دلالة راجحة على معنى القتال . فمن ذلك الآيات الآتية :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ

اللهُ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣٦]

وجه الاستدلال : يمكن حمل الجهاد هنا على الخروج للقتال ، بقرينتين الأولى : بأفضلية المجاهدين على القاعدين ؛ والثانية :هو السياق العام لحروب النبي (صلى الله عليه وآله) في دفاعه عن الكيان الإسلامي الذي تشكل بعد انتقاله إلى المدينة المنورة . بخلاف المسألة التي صادفها النبي في مكة إذ كانت دينية ثقافية ، ولا علاقة لها بالسياسة . ويرى بعضهم أن المسلمين في مكة كانوا فقراء إلى الأرض التي تكون دارًا لهم ، وإلى النظام الذي ينسج علاقة ما بينهم ويجعل منهم مجتمعًا تستقر أركانه فوق تلك الأرض ، ومن ثم لم يكن لهم وراء العقيدة التي يدعون إليها ويكافحون بالفكر عنها، أي حق ثابت ينهضون بحراسته ويقاتلون من دونه إن اقتضى الأمر . وعليه لم يكن للجهاد القتالي أي مسوغ آنذاك ، فمن أجل ذلك كان جهاد رسول الله في مكة ، جهاد إعلام ودعوة وبرهان فقط .[٣٧]

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣٨]

وجه الاستدلال : إذ يمكن حمل الجهاد هنا على القتال، لقرينة النفير المشار إليها بالوجوب . «وقد فهم بعض الصحابة من هذا الأمر العموم فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو حتى ماتوا ، ومنهم أبو أيوب الأنصاري والمقداد بن الأسود وغيرهم .»[٣٩]

لكن يناقش الاستدلال : النفير يمكن أن يتحقق بصور الجهاد المتعددة ، كما لو شخصت السلطة الإسلاميَّة العليا[٤٠] أن التصدي الإعلامي والوقوف بوجه الإعلام الزائف الذي يستهدف المسلمين من الواجبات الكفائية . فيكون النفير الوجوبي متعين على كوادر الأمة الإعلامية وعلمائها. وبالتالي لا مساحة لتطويق الجهاد في الآية بالقتال . وعنوان (في سبيل الله) يتحقق أيضًا؛ لأنّ مفهوم في سبيل الله يتسع بحدود انطباق منهاج دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه في مجالات الحياة بآفاقها الرحبة .

الآيــة الثالثــة : قــال تعــالى : ﴿لَا يَسْــتَأْذِنُكَ الَّذِيــنَ يُؤْمِنُــونَ بِــاللَّهِ وَالْيَــوْمِ الْآخِــرِ أَنْ يُجَاهِــدُوا بِأَمْوَالِهِــمْ وَأَنْفُسِــهِمْ وَاللَّهُ عَلِيــمٌ بِالْمُتَّقِــينَ * إِنَّــمَا يَسْــتَأْذِنُكَ الَّذِيــنَ لَا يُؤْمِنُــونَ بِــاللَّهِ وَالْيَــوْمِ الْآخِــرِ وَارْتَابَــتْ قُلُوبُهُــمْ فَهُــمْ فِي رَيْبِهِــمْ يَــتَرَدَّدُونَ* وَلَــوْ أَرَادُوا الْخُــرُوجَ لَأَعَــدُّوا لَــهُ عُــدَّةً وَلَكِــنْ كَــرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُــمْ فَثَبَّطَهُــمْ وَقِيــلَ اقْعُــدُوا مَــعَ الْقَاعِدِيــنَ ﴾(٤١)

وجــه الاســتدلال : يمكــن حمــل الجهــاد في هــذه الآيــة عــلى القتــال بقرينــة ذكــر (الاســتئذان) و (الخــروج) في ســياق الآيــات، وملاحظــات دلالات الواقــع التاريخــي في حــروب النبــي في المدينــة ترجــح حمــل الجهــاد عــلى معنــى القتــال .(٤٢)

الآيــة الرابعــة : قــال تعــالى : ﴿ يَــا أَيُّهَــا الَّذِيــنَ آمَنُــوا هَــلْ أَدُلُّكُــمْ عَــلَى تِجَــارَةٍ تُنْجِيكُــمْ مِــنْ عَــذَابٍ أَلِيــمٍ تُؤْمِنُــونَ بِــاللَّهِ وَرَسُــولِهِ وَتُجَاهِــدُونَ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُــمْ وَأَنْفُسِــكُمْ ذَلِكُــمْ خَــيْرٌ لَكُــمْ إِنْ كُنْتُــمْ تَعْلَمُــونَ﴾(٤٣)

وجــه الاســتدلال : فــسرت الآيــة التجــارة بالإيــمان بــالله ورســوله ، وذلــك يتــم بتوحيــد الله وطاعتــه والتصديــق بــما جــاء بــه النبــي . ثــم قالــت:﴿ وَتُجَاهِــدُونَ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُــمْ وَأَنْفُسِــكُمْ ﴾ يعنــي قتــال أعدائــه ( بأموالكــم ) فتنفقونهــا في ذلــك ، ( وأنفســكم ) فتحاربــون بنفوســكم . والمــال والنفــس هــو مــا يســتلزمه القتــال بطبيعــة الحــال.(٤٤)

ومــما تقــدم : لا يمكــن حمــل مفهــوم الجهــاد في الآيــات المكيــة عــلى القتــال ، لمخالفــة الحقيقــة التاريخيــة التــي تفيــد أن الجهــاد المســلح إنــما شُرّع في المدينــة . وعليــه يكــون المــراد مــن مفهــوم الجهــاد المكــي هــو : هــو الجهــاد الفكــري والثقــافي والتبليغــي . وحمــل الآيــات المدنيــة عــلى القتــال يحتــاج إلى قرينــة صارفــة .

زيــادة عــلى مــا تقــدم القــرآن الكريــم لا يــتردد في اســتعمال مصطلــح القتــال أو المقاتلــة عندمــا يريــد مــن مخاطبيــه فعــل ذلــك، فكــما نجــد الحــض عــلى الجهــاد في ســبيل الله في الآيــات القرآنيــة ، نجــد في مواضــع كثــيرة طلــب القتــال في ســبيل الله ، وبصيغــة الأمــر (قاتــل) ، و (قاتلــوا)، (يــا أيهــا النبــي حــرّض المؤمنــين عــلى القتــال) ومــا ماثــل ذلــك . وهــذا يــدل عــلى أن القتــال مفهــوم لــه منظومتــه المفاهيميــة.(٤٥)

**المطلب الثاني: مفهوم الجهاد في سياق السنة الشريفة .**

إذا ما حاول الباحث إجراء عملية إحصاء واستقراء سريعة لنصوص السنة في أبواب الجهاد، وموقع المفهوم الجهادي منها سيتضح له هيمنة المعنى المسلح على بقية المعاني الأخرى . وربما يعود الأمر لطبيعة التحديات والأحداث التي عاشها الكيان الإسلامي في بداية التكوين والصَيْرورة ، إذ فرضت شيوع الاستعمال في معنى الحرب أكثر من سواه . من دون أن يسحب ويفصل الجهاد الحربي (الأصغر) عن مخزونه الروحي والأخلاقي المتمثل بالجهاد الأكبر . وبذلك نكون أمام مجموعة من الأحاديث تمفصلت على ضربين : الأول : استعمل الجهاد بوضعه العام (اللغوي) . والثاني : استعمل الجهاد بوضعه الخاص (القتالي) ، ولإيضاح ذلك أعرض لهما بالاتي :

الضرب الأول : الأحاديث التي استعمل فيها الجهاد بوضعه اللغوي العام .

تشير لهذا العنوان ضفيرة من الروايات ومنها :

الرواية الأولى : ما جاء عن النبي (صلى الله عليه وآله) حينما رجع أصحابه من إحدى غزواته قال لهم :(( رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)) قيل : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال :(( جهاد النفس))[٤٦].

والمعلوم أن المراد هو مجاهدة النفس الأمارة بالسوء ، ومقاومة الشيطان ووساوسه إلخ.

الرواية الثانية : فعن أبي جحيفة قال : سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: ( إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ، ثم بألسنتكم ، ثم بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفًا ولم ينكر منكرًا قلب فجعل أعلاه أسفله.) [٤٧]

يوضح هذا الحديث أهمية جهاد النفس بوصفها الركن الأساسي في مقاومة العدو الخارجي ، فمن لم يخرج العدو من قلبه لن يتمكن من إخراجه من أرضه، وهو يصنف الجهاد إلى مراتب ثلاث: قلبي، وقولي، وفعلي . وبذلك ينسجم مع الوضع العام لمفهوم الجهاد .

الرواية الثالثة : وجاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : (جاهدوا في سبيل الله بأيديكم ، فإن

لم تقدروا فجاهدوا بألسنتكم ، فإن لم تقدروا فجاهدوا بقلوبكم .)[٤٨] ودلالته كسابقه .

الضرب الثاني : الأحاديث التي استعمل فيها الجهاد بوضعه الخاص (القتالي)

وردت مجموعة من الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأهل بيته تضمنت مفهوم الجهاد ، نعرض لها محاولين تلمس البعد الدلالي للجهاد ، ومن هذه الأحاديث :

الحديث الأول : عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله ( عليه السلام ) : أي الجهاد أفضل ؟ قال : (( من عقر جواده واهريق دمه في سبيل الله .)) [٤٩] ومثله ورد عند غير الإمامية عن جابر الأنصاري.[٥٠]

وجه الاستدلال : الحديث واضح ولا يحتاج إلى بيان فإراقة الدماء ، وعقر الجواد كناية عن الجهاد المسلح .

وعن غير الإمامية جاءت أحاديث في هذا السياق، ومنها :

الحديث الأول : عن أبي هريرة الدوسي : قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد قال : (( إنكم لا تستطيعونه ، فردوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: لا تستطيعونه ، فقال في الثالثة : مثل المجاهد في سبيل الله مثل الصائم القائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام ، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله ))[٥١] . قال الترمذي : « حديث حسن صحيح »[٥٢]

يحمل هذا الحديث على الجهاد الحربي، لأنَّه الصورة النمطية في ذهن المسلمين بعد أن سرى الجهاد وانتشر ، فعندما يطلق الجهاد لا يُراد منه إلَّا الحربي .

الحديث الثاني : عن أبي هريرة قال : قالوا : يا رسول الله أخبرنا بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله ، قال رسول الله (صلى الله عليه-وآله- وسلم) : « لا تطيقونه » قالوا : يا رسول الله ! أخبرنا فلعلنا أن نطيقه قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع المجاهد إلى أهله ».[٥٣]

دلالة الحديث بينة في الجهاد المسلح، بملاحظة السؤال المنصب في عنوان المجاهد، أي المقاتل، جواب النبي (صلى الله عليه وآله) : ((حتى يرجع المجاهد إلى أهله)) والمراد الرجوع من القتال بعد الخروج له .

الحديث الثالث : عن ابن عباس قال رسول الله (صلى الله عليه -وآله- وسلم) « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهارها وتأكل من ثمارها وتسرح في الجنة حيث شاءت فلما رأوا حسن مقيلهم ومطعمهم ومشربهم . قالوا : يا ليت قومنا يعلمون ما صنع الله لنا كي يرغبوا في الجهاد ولا يتّكلوا عنه ! فقال الله تعالى : فإني مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم، ففرحوا واستبشروا بذلك، فذلك قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون )) [٥٤]

وجه الاستدلال : لقد جاء الترغيب في القتال، وما يتبعه من استشهاد استجابة لُأمْنية السابقين من الشهداء في ترغيب قومهم في الجهاد ، الأمر الذي يدل على أن الجهاد ورد هنا بمعنى القتال في سبيل الله . [٥٥]

فكلمة (جهاد) عامة، ومن يزعم من المتعصبين ضد الإسلام أن الجهاد : هو قتال المسلمين لكل من ليس بمسلم لإكراههم على الإسلام فهو مجانب للصواب.[٥٦]

## المبحث الثالث : مفهوم الجهاد في نصوص الفقهاء .

رأينا كيف أن مفهوم الجهاد أخذ شكله الدلالي في السياق القرآني بمعنى البذل والوسع والطاقة، مع ملاحظة البعد الزمكاني المتمثل في المكي والمدني، فلا حقيقة شرعية له . والحال نفسه في السياق التداولي لعصر الرسالة النبوية ، بفارق غلبة المعنى القتالي على بقية المعاني ، استجابة للتحديات التاريخية التي فرضت هذا العنوان . بينما الفقهاء عند مطالعة نصوصهم التعريفية نجدها قد تموضعت تبعًا للمرحلة المدنية فأصبح مفهوم الجهاد عندهم مطابقًا لمفهوم القتال ، مع بيان الجهة المستهدفة وهم (الكفار)، وبذلك هيمنة التجربة التاريخية على نصوصهم.

ومورد الشبهة في تخصيص كلمة الجهاد بالقتال هو ما ذكره الفقهاء المسلمون من تعريفات للجهاد . وهي في حقيقة الأمر لا تخصص مدلول النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة الواردة في الجهاد.[٥٧]

نعم هم نظروا في التعاريف إلى إيضاح عنوان للمسائل بنحو

الإجمال، وكانت نظرتهم إلى التعريف الاصطلاحي من جهتين :
الجهة الأولى : جهة العطاء المبذول .
والجهة الثانية : جهة القصد والهدف من العطاء ، التي تتراوح بين «محاربة المشركين أو الباغين « وإعلاء كلمة الإسلام ، وإقامة شعائر الإيمان.
وقبل أن نوضح تفصيل المطلب أظن أنّ من المناسب أن نعرض بإيجاز إلى قضية لها علاقة بالتعريف ، وهي بيان المعنى الإجمالي لعلة الجهاد في الإسلام، فالجهاد الدفاعي موضوع مفروغ من مشروعيته، وقد دلت النصوص وموجبات العقل على مشروعيته ، وهو مورد اتفاق علماء الأمة . نعم حصل التفاوت في مفهوم الجهاد الابتدائي الذي يعني محاربة الكفار وجهادهم من غير أنْ يكون ذلك في مورد الدفاع ، فقد اختلف الفقهاء على ثلاثة أقوال ،وهي :
القول الأول : ان مشروعية الجهاد قائمة على أساس أنَّ المناط في القتال مع الكفار هو وجود العقيدة المنحرفة الإلحادية فيهم بغض النظر عن عدوانهم وحربهم على بلاد الإسلام ودعاته. فينبغي قتال كل من غير المسلمين حتى يقولوا :» لا اله إلَّا الله» على تفصيل في بعض الأحكام. وهذا هو المبسوط في نصوص فقهاء الإمامية وغيرهم من المذاهب . مع ملاحظة أن مشهور[٥٨] الإمامية يشترطون حضور الإمام المعصوم (ع) وظهوره أو وجود النائب الخاص للإمام الذي نُصّب من قبله للقيام بأمر الجهاد «تحرزًا من الفوضى»[٥٩]
القول الثاني : يذهب إلى حصر مفهوم الجهاد بالقتال من أجل حماية الدعوة الإسلاميَّة في التبليغ والانتشار وحماية المستجيبين لها ، والتدخل لأغراض إنسانيّة أفإذا لم يحصل منع، أو اعتداء على حملة الدعوة فلا مشروعية ولا مسوغ للجهاد الابتدائي . وقد برز هذا القول مع إطلالة القرن العشرين ، فقال به جماعة من العلماء .[٦٠]
القول الثالث: عدم مشروعية الجهاد الابتدائي، وقصر الجهاد على الدفاعي فقط بوصف الابتدائي فاقدًا للأصول والمسوغات في نصوص القرآن والسنة . وقد جاء هذا القول متأخرًا زمنًا عن القول الثاني ، إذ برز في العقود الأخيرة من القرن العشرين في الوسط الإمامي والسني .[٦١]
وعندما نعرض لتعريفات الفقهاء

للجهاد ، سيلحظ القارئ أن هذه الأقوال مستمدة من تعريفات الجهاد وفهمهم لنظرية الجهاد وطبيعته في الإسلام وعلاقته بالقوة .

وقد عرف الإمامية الجهاد من جهة الاصطلاح بتعريفات عدة ، وجرى النقاش فيها ، ومنها:

~~أولًا~~ : ذكر الشهيد الأول (ت٧٨٦هـ) أن الجهاد هو :( بذل النفس والمال في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعار الإيمان )[٦٢]

وناقش الشهيد الثاني(ت٩٦٥هـ) هذا التعريف بوصفه غير مانع من دخول الأغيار ، يقول: (وأراد بالأول إدخال جهاد المشركين ، وبالثاني جهاد الباغين . وهو غير مانع ، فإن إعزاز الدين أعم من كونه بالجهاد المخصوص ، كما لا يخفى .)[٦٣]

أما السيد علي الطباطبائي (ت١٢٣١هـ) فقد ناقش هذا التعريف بكونه غير مانع ولا جامع ، يقول : (وأريد بالأول إدخال جهاد المشركين ، وبالثاني جهاد الباغين . ويرد عليه قتال الكفار للأمر بالمعروف ، فإنه إعلاء كلمة الإسلام ، إلا أن يُراد به الإقرار بالشهادة . وقد يُطلق على جهاد من يدهم على المسلمين من الكفار ، بحيث يخافون استيلاءهم على بلادهم وأخذ مالهم أو ما أشبهه وإن قل . وجهاد من يريد قتل نفس محترمة أو أخذ مال أو سبي حريم ، ومنه جهاد الأسير بين المشركين دافعًا عن نفسه . وربما أطلق على هذا القسم الدفاع لا الجهاد.)[٦٤]

غير أن الشيخ محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ) قلل من أهمية الإشكال وإن وافق عليه ؛ لأنّ المطلوب من التعريف هو المعنى الإجمالي، وليس التعريف بالمعرفة الدقيّة ، يقول : (إلَّا ان الأمر في أمثال هذه التعاريف التي لا يراد منها إلَّا التمييز في الجملة سهل.)[٦٥]

ثانيًا-: قال الشهيد الثاني(ت٩٦٥هـ) وهو: ( بذل الوسع بالنفس ، وما يتوقف عليه من المال ، في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص .)[٦٦]

وناقش السيد محمد الروحاني هذا التعريف والتعريف الأول بأنهما غير جامعين ، يقول : (ولكن التعريفين غير جامعين لجميع الأقسام حتى الأقسام التي ذكرها الشهيد الثاني . قال في الروضة : وهو أقسام : جهاد

المشركين ابتداء لدعائهم إلى الإسلام، وجهاد من يدهم على المسلمين من الكفار، بحيث يخافون استيلاءهم على بلادهم وأخذ مالهم، وما أشبهه من الحريم والذرية ، وجهاد من يريد قتل نفس محترمة أو أخذ مال أو سبي حريم مطلقًا ، ومنه الأسير بين المشركين للمسلمين دافعًا عن نفسه.)[٦٧]

ويرد الإشكال على تعريف الشهيد الثاني بكونه غير جامع ، إلَّا أن الشهيد الأول لم يذكر قيد قتال المشركين أو قتال الباغين بل هذا ما فهمه بعضهم من عبارته . وعليه ، فيبقى تعريفه شاملًا لموارد الجهاد الأخرى التي من شأنها إعلاء كلمة الإسلام . نعم يؤاخذ بغير المانعية المتقدمة.

أما فقهاء المذاهب الأخرى، فقد كان تعريف الجهاد في الاصطلاح عند أغلبهم يدور حول قتال الكفار الذين لا تربطهم بالمسلمين صلة هدنة أو تعاهد ، بعد دعوتهم إلى الإسلام ، والذين لا يعيشون في ظل الوجود الإسلامي بمقتضى عقد الذمة .

فعُرّف الجهاد عند الحنفية بأنه :(الدعاء إلى الدين الحق مع من امتنع عن القبول بالنفس وبالمال.) [٦٨] وقال الحصفكي (ت١٠٨٨هـ): هو ( الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله.)[٦٩]

وعرفه ابن عرفة من المالكية بأنه: (قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد ؛ لإعلاء كلمة الله أو حضوره له أو دخول أرضه .)[٧٠]

وذكر الباجوري(ت١٢٧٦هـ) من الشافعية أن :» الجهاد أي القتال في سبيل الله مأخوذ من المجاهدة ، وهي المقاتلة لإقامة الدين ، وهذا هو الجهاد الأصغر ، وأما الجهاد الأكبر فهو مجاهدة النفس ، فلذلك كان ﷺ يقول إذا رجع من الجهاد: « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.»[٧١]، وعند الحنابلة هو :»عموم قتال الكفار» [٧٢] ، وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): «الجِهَاد هو بذلُ الوُسعِ، وَهو القدرَةُ فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ الحَق وَدفع مَا يَكْرَههُ الحقُّ»[٧٣]

وما يؤخذ على هذه التعاريف جميعها أنها غير جامعة ولا شاملة لجميع أنواع الجهاد . فإنها قد تمحورت حول محاربة المشركين، باستثناء

تعريف ابن تيمية فإنه جامع لكنه غير مانع من دخول الأغيار ، فان حصول محبوب الحق يحصل بغير الجهاد أيضًا .

وهذه التعاريف كما هو واضح أخذت المعنى العرفي الغالب في زمن الرسالة، وهو القتال في سبيل الله ، لهذا نجد علماء التفسير والفقه والسير جاء تعريف الجهاد في علومهم التي خاضوها على نحو الإجمال من دون اختزال لمعنى من المعاني كما هو واضح من عبارة الشيخ محمد حسن النجفي المتقدمة.

**المبحث الرابع: مفهوم الجهاد عند المتصوفة .**

سيكشف لنا هذا المطلب عن تطور مفهومي جديد لمصطلح الجهاد. وقبل الولوج في تحقيقه ينبغي أنَّ نضع توطئة صغيره له تضيء في التصوف، وبعض مصطلحاتهم لتفصح لنا عن موقع الجهاد منها، والعوامل التي أدت إلى وجوده بالدلالة الخاصة به. فمن مزايا الإسلام التنوع المعرفي والثقافي الذي يمنحه للإنسان، فقصر الإسلام وتموضعه في جانب دون آخر، ما هو إلَّا اختصار مخل، يصطدم بواقع الحياة اضطرادًا. فتنوع الدروس من فقهي وفلسفي وأخلاقي (صوفي) أو (عرفاني) يجعل الدين ذا قدرة على التحليل والتأمل والاستيعاب . إذ تتكامل هذه الأبعاد في منهج التفكير والحياة.

فالفكر البرهاني الكلامي يكشف لك عن باونوراما العقائد والوجود بوصفها أفكارًا إيمانيةً يعقد العقل عليها . بينما يركز الجانب الفقهي على الأوامر والنواهي التي تضع قواعد السلوك الفردي والمجتمعي والدولي تحت قاعدة الحلال والحرام ، فيما يعتني علم التصوف والعرفان بالتجربة الروحية للإنسان .

والتجربة الصوفية في التراث الإسلامي، في جانب منها على الأقل، ثورة ضد المؤسسة الدينية (السنية) التي حولت الدين إلى مؤسسة سياسية اجتماعية مهمتها الأساس الحفاظ على الأوضاع السائدة – مهما كانت درجة انحطاطها- ومساندتها عن طريق آليات معرفية ثابتة يقف على رأسها (الإجماع) ويليه (القياس). فيسعى الصوفي في تجربته الروحية إلى محاولة التواصل مع مصدر المعرفة الدينية ومعانقتها

بدلًا من الانشغال بنصوص الفقهاء والمفسرين التي مزقتها الاختلافات المذهبية بأبعادها السياسية والذاتية إلخ .[٧٤]

والبحث في التصوف- كعلم بخلفياته الفلسفية وتصوراته للكون والحياة ، واشتراكه مع باقي الأديان - واسع ويُفرد بدراسات علمية مستقلة لكننا نحاول أن نسلط الضوء على بعض المناطق المهمة لكشف الأبعاد التي جعلت المتصوفه يتبنون مصطلح الجهاد بوصفه عنوانًا رئيسًا في منظومتهم المعرفية .

والتصوف ليس حكرًا على ديانة أو مذهب، ولا يقتصر على مدرسة واحدة بل له اتجاهات عديدة، بعضها قد حافظت على الفهم الأولي للتجربة الروحية من الزهد والورع والشوق والقرب ...الخ . بينما استعارت بعض الاتجاهات الرهبنة الموجودة في الديانات الأخرى واختلطت بتعاليم غنوصية .

والتصوف له حقلٌ دلاليٌ مهمٌ من المصطلحات التي تحمل آفاقًا من المعاني والأغراض . وقد كتب الدكتور رفيق العجم دراسة معتبرة حول حركة سير المصطلحات الصوفية، موسوم بـ (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي). وتعدد المصطلحات الصوفية ناشئ من تعدد جوانب الحياة الروحية التي تتمثل في الطريق والارتحال، والممارسة الوجدانية، والمذهب، والمقامات والأحوال .

فمثلًا من المصطلحات التي تنتمي إلى الطريق هي : السفر ، والرحلة، والحج ، والسلوك ، والسالك، والمقامات والأحوال، والمجاهدة، والوصول، والواصل، والغاية، والمعراج، والسائر.

والصوفي في سيره نحو الطريقة ينتقل من حال إلى حال ليرتقي من مقام إلى مقام، حتى يفتح الله عليه ويصل إلى الحقيقة .[٧٥] ومن الأمور الركينة التي عليه أن يفعلها تزكية النفس ومخالفة الهوى بالرياضة والمجاهدة . والمجاهدة عندهم هي عبارة عن «حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال » [٧٦] فتكون المجاهدة عندهم هي إلجام النفس عن الشهوات واللذات ، والعروج بها في طريق الله. يقول لسان الدين الخطيب: «خص بعض المدونين المجاهدات بما يرجع إلى

الأمور البدنية، والرياضيات بما يرجع إلى الأمور النفسانية، وعندي أن الكل راجع إلى الأمور النفسانية »[٧٧]

فتكون المجاهدة عنوان يجمع الأمور البدنية والنفسية برياضة مخصوصة في سبيل العلم والفيض الإلهي . وبذلك لا تكون المجاهدة مطلبًا رئيسًا للصوفية، وإنما هي وسيلة فرعية وأداة يستعملها السالك . فنكون أمام تطور مفهومي آخر لمصطلح الجهاد . إذ إنه أفرغ بنسبة غير قليلة من محتواه الذي اكتسبه في النص المؤسس وابتعد كثيرا عنه، واختلف أيضا مع المفهوم الذي تطور لدى الفقهاء بصورة جذرية[٧٨].

نعم لا يمكننا أن نفسر ذلك من دون الوقوف على بواعثه والبيئة التي نشأ بها، ويعزو الدكتور عرفان عبد الحميد ذلك إلى أربعة عوامل [٧٩]، هي :

أولًا : الخوف من الله الذي استولى على كثيرٍ من الناس وألجأهم إلى العزوف عن الدنيا بأكملها والتوجه نحو الآخرة بتأثير من الآيات القرآنية . زيادة على الهامش الذي تركه لهم الشرع في مجال الروحانيات . فبأثر ذلك رأوا أن تزكية النفس ومجاهدتها سبيل الخلاص في الدنيا والآخرة.

ثانيًا : عدم شرعية الجهاد مع الحكام آنذاك ؛ فبعد حدوث مجزرة كربلاء وقتل الإمام الحسين (ع) وأهل بيته في استباحة لكل شيء معتبر يقول أبو حيان البيروني : " لقد دار مع الحسين وأهل بيته ما لم يدر في ملّة ، بل ما لم يدر مع الأشرار من الناس من قتل وعطش وإحراق وحز للرؤوس ووطء للأجسام ".[٨٠]

وقد بلغت جسامة الجناية مبلغًا انعكس حتى على من اقْتَرَفَها، فعاش بعضهم تحت تأنيب الضمير وعذاباته ، كما يروى عن شبث بن ربعي .[٨١]

ولما رأى الناس من استخفاف بحرمة بيت النبوة ، والاستخفاف بالدين انعكس ذلك في أمرين : الأول : نزع الشرعية عن كل من تلا يزيد على سدة الحكم . الثاني : الانكفاء عن القتال تحت راية الحكام، فلجأ بعض الناس إلى العزوف عن الخوض في أمور السياسة والدنيا التي لم تبق أي اعتبار لأقدس الرموز الدينية . واستمر الحال حتى العصر العباسي الذي نشأت فيه حركة التصوف

بصورة منظمة.

ثالثًا : الحروب الداخلية في المجتمع الإسلامي ، وما تم فيها من تصفية حسابات مذهبية وسياسية واقتصادية، تجري باسم الدين ، الأمر الذي جعل مفهوم الجهاد ألعوبة في يد كل جهة تحشد الناس حولها . فالحروب الأهلية إلى جانب ما خلفته من تعب وإنهاك للمجتمع الأهلي ، وما ورثته من شعور بالذنب والخطيئة لدى بعض من خاضها ، وكراهية العنف والنفور من خوض المعارك لدى من عاصرها ، كان لها تأثير مباشر في البحث عن نوع آخر من الجهاد أقل عنفا وأكثر طهارة وأقرب إلى سماحة الدين ، وأقل قابلية في الاستثمار السياسي . فكانت الوجهة التصوف .

رابعًا : حياة الترف والبذخ والإقبال على الدنيا بعد الفتوحات التي مارستها الدولة الأموية والعباسية وما خلفته من غنائم طائلة . فيرى الزهاد أن شهية الغنائم المنقولة وغير المنقولة (العقار) وبعض الظروف الاجتماعية والسياسية هي من تدفع بعضهم إلى الجهاد الذي فسره الفقهاء بـ (القتال) . وهذا العامل دعا الصوفية إلى أن ينشغلوا بجهادهم (جهاد النفس).

وهنا لابد أن نشير إلى انتقاد حاول بعض الفقهاء- الذين تصارعوا مع المتصوفة ردحًا من الزمان- أن يضعوه أمامهم وهو انشغال التصوف بتهذيب النفس ، منصرفين بذلك عن هموم المجتمع المسلم وجهاد عدوه الكافر .

لكن-وللإنصاف- لم نجد من رجالات الصوفية ومنظريهم من دعا إلى حصر الجهاد بمكابدة النفس وترويضها، فلم يصرّح أحد منهم بإلغاء الجهاد المسلح عند توفر شروطه، نعم كانوا يعتقدون أن مجاهدة النفس أصل الجهاد، أو كما جاء في الحديث هو (الجهاد الأكبر)، وتبعًا للظروف والمعطيات التي سقناها كان لمفهوم الجهاد عندهم منحًا جديدًا يتماها مع الدلالات النفسية المتجلية في المجاهدة بوصفها معراجًا إلى المقامات والأحوال والفيض والطمأنينة والمشاهدة، ويمكن تلمس ذلك في قول الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي النقشبندي(ت١٣١١هـ) وهو يضع الجهاد في ثلاثة فروع: «مجاهدة العام، وهو مع الكافر الظاهر، ومجاهدة الخاص مع الكافر

الباطن، ومجاهدة الأخص مع النفس «[٨٢]، ويقول محي الدين ابن عربي (ت٦٣٨هـ) -الذي عاصر الحروب الصليبية مع المسلمين- في كتابه الوصايا: " وعليك بالجهاد الأكبر، وهو جهادُ هواك، فإنك إذا جاهدتَ نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قُتِلتَ فيه كنت ،من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون. وأجهد أن ترمي بسهمٍ في سبيل الله واحذر إن لم تغزُ أن لا تحدِّث نفسك بالغزو".

وأما صور الجهاد الحربي الصوفي فهي متعددة، وشواهدها في التحرير والصد عن بيضة الإسلام غير قليلة ، ومنهم في العصر الحديث : عمر المختار القائد الأبرز في القوات الليبية المقاومة للاحتلال الايطالي، ومحمد بن عبد الله حسن الصومالي أعلن الجهاد ضد الاحتلال البريطاني عام ١٨٩٩م ، والشيخ شامل الداغستاني قائد المقاومة في شمال القوقاز بوجه الجيش الروسي حتى وقوعه في الأسر عام ١٨٥٩م.

**المبحث الخامس: مفهوم الجهاد عند رجال الإصلاح الديني في العصر الحديث .**

يعرض هذا المطلب لمفهوم الجهاد عند رواد الإصلاح من جمال الدين الأفغاني(ت١٨٩٧م)، وأحمد خان الهندي(ت١٨٩٨م)، ومحمد عبده(ت١٩٠٥م)، ومحمد رشيد رضا(ت١٩٣٥م) .

فالمصلحون الإسلاميون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، لم يخلفوا لنا نتاجًا فكريًا خاصًا عن الجهاد، وإنما قاربوا هذا الموضوع في إطار تفسير آيات القرآن الكريم ،أو في مجال تناول جانب من القضايا الاجتماعية والسياسية التي يواجهها المسلمون، بما فيها قضية الموقف من أصحاب الديانات الأخرى ، والموقف من الغرب بوجهيه الاستعماري والعلمي التقني . فجاءت تجاربهم معبرة عن وحدة النوع الإنساني في مجال تفاعله ، ودعوا إلى نبذ التكفير والعمل من أجل التسامح بين أهل الأديان السماوية وبالخصوص الثلاثة .

وفسروا الجهاد على أنه مفهوم واسع ليشمل ما يُعرف بالجهاد الأكبر الذي يغطي جهاد النفس، وقالوا: إن الجهاد يملك طابع الدفاع لا الهجوم ، ودفعوا تهمة انتشار

الإسلام بالسيف، وأكدوا أن الجهاد كان فرض كفاية على المسلمين ، ولم يكن من أجل الإكراه على الدين . وواضح أن هؤلاء كانوا نتاج الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاصروها فاستجابوا لها .

فأحمد خان الهندي يعرض مفهوم الجهاد بعيدًا عن مفاهيم الغدر والعنف والقسوة وسفك الدماء . ولكي تتم إعادة تفسير الجهاد وفق هذا المعنى يقرأ مفاهيم (دار الإسلام) و (دار الحرب) و(الهجرة) الواردة في المصنفات الفقهية من جديد ويسقطها على بعض البلاد الإسلاميَّة ووضع المسلمين تحت حكم الإنجليز فيها [٨٣].

ويتناول أصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم محمَّد عبده مفهوم الجهاد من منظور اجتماعي؛ ذلك أن همهم الكبير هو إصلاح المجتمع وإخراجه من والتخلف والنهوض به في مشروع حضاري يستوعب المفارقات التي تعيشها الأمة . فيجدون في الجهاد وسيلة معتبرة في هذا المشروع . وهدفهم من استعمال مفردة الجهاد في هذا المعنى هو تحريك كل أفراد المجتمع وإشراكهم في برنامج الإصلاح ، إذ لا إصلاح للمجتمع لا بالعمل الجماعي . [٨٤]

ويعيب هؤلاء على بعض طلاب الإصلاح الذين يرون مشاكل المجتمع لكنهم لا يرضون لأنفسهم أن يخطو خطوة واحدة في سبيل تحصيله، بل يجب أن يأتيهم الإصلاح ساعيًا إليهم[٨٥]. ويتساءلون : «أيظنون أنّه يمكن لهم نوال الشرف أو حفظ الناموس إلَّا إذا جاهدوا في سبيل الإصلاح بأموالهم وأنفسهم» [٨٦]. ولكن كيف يتحقق هذا الجهاد ؟ وما هي ذخيرته ؟

فيجيب محمد عبده : " من سنّة من قبلنا ومن معنا في عصرنا أن يسعى أفراد الأمَّة ونبلاؤها في جمع الكلمة وبذل الدينار والدّرهم وتعاضد الأفكار والأعمال على تحصيل ما يطلبون بأسبابه ووسائله الحقيقة وبدون توانٍ في العمل ولا فتور في الهمم «[٨٧].

إذاً الجهاد هنا مرتبط بتبادل الناس مواهبهم وقدراتهم الفرديَّة وإمكاناتهم الماديَّة والمعنويَّة .وبما أنَّ المعوَّل في هذا الجهاد الإصلاحي على آحاد المجتمع وليس على الحكومة، لذا يكون من الطّبيعي أن يبتعد فيه المنظّرون عن

السياسة، ولكنّ عدم الالتفات إلى الحكومة والمراهنة على أفراد الأمَّة يتطلّب تحضيرهم لهذه المهمَّة، ولهذا السبب يساوي الجهاد الإصلاحي عند هؤلاء إصلاح التربية والتعليم. (٨٨) ومن هذا المنطلق تأتي مخاطبة الأغنياء وحثّهم على بذل أموالهم « في سبيل افتتاح المدارس والمكاتب واتّساع دوائر التعليم حتى تعمّ التربية وتثبت في البلاد جراثيم العقل والإدراك وتنمو روح الحق والصلاح وتتهذّب النفوس »(٨٩)

ويستعمل في هذا المضمار مفهوم الجهاد الأكبر، فقد عدّ الإصلاحيون – ومنهم محمد عبده، ومحمد رشيد رضا– الجهاد في القرآن والسنَّة يتجاوز معناه الجهاد القتالي إلى نوع آخر ذُكر في الفكر الإسلامي القديم، وهو الجهاد الأكبر(٩٠)، ولا يقصد بهذا النوع معناه الصوفي، ذلك أنَّ من أهمّ مرتكزاته «ما يُبتلى به المؤمن من مدافعة الباطل ونصرة الحق »(٩١)، وهكذا يخرج الجهاد الأكبر عن المعنى الفردي الذاتي لدى المتصوّفة، وهو يقوم على مجاهدة النفس، لينفتح على معنى موضوعي خارج إطار الذّات موصول بالمجتمع .وهذا المعنى قد يكون في نظرهم أفضل من جهاد العدو، وربَّما يفضّل بعضهم جهاد النفس على جهاد الأعداء في الحرب، فإنَّ الإنسان إذا أراد أن يبث فكرة صالحة في الناس، أو يدعوهم إلى خير من إقامة سنَّة أو مقاومة بدعة، أو النهوض لمصلحة، فإنَّه يجد أمامه من الناس من يقاومه ويؤذيه إيذاء قلما يصبر عليه أحد، وناهيك بالتصدي لإصلاح عقائد العامة وعاداتهم، وما الخاصَّة في ضلالهم إلَّا أصعب مراسًا من العامَّة »(٩٢)

ونجد أن مفهوم الجهاد عند الشيخ محمد رشيد يتسع من المفهوم اللغوي للجهاد ليصل إلى أنَّ أبعاده الدّلاليَّة منفتحة على أكثر من معنى، فالجهاد لغة في رأيه " مشاركة من الجهد، وهو الطاقة والمشقة »(٩٣). وبناء على هذا يصنّف الجهاد إلى: حسّي ومعنوي، وقولي وفعلي(٩٤). واتَّسع هكذا مفهوم الجهاد عنده ليشمل كلَّ جهد وعناء يبذل في سبيل الآخرين أو الأوطان، على غرار «الجهاد في سبيل الزوجة والولد والأمَّة والوطن »(٩٥)

ومما تقدم تبين لنا استجابة رواد الإصلاح الديني لدلالات الواقع المعاصر، فقد سعوا إلى الدفاع عن

سمعة الإسلام[٩٦] بعد أن حاول بعضهم، ولاسيَّما الاتجاه الاستشراقي القول إن دعوة الإسلام والسيف واحدة ، وإن مفهوم الجهاد يعني القتال ولا شيء غيره ، والإسلام ضد حقوق الإنسان، الفتوحات الإسلامية هي توسعات استعمارية لجمع الغنائم . لهذا نجد أن رواد الإصلاح اخذوا بتأويلات تتسق مع روح التسامح والدعوة بالحكمة ، والنهوض بواقع الأمة .

**المبحث السادس: مفهوم الجهاد عند السلفية.**

دعونا قبل أن نعرض مفهوم الجهاد عند السلفية أن نتكلم عنهم بسطور تعريفية موضحين أبرز اتجاهاتهم، ومنهجهم المعرفي، من دون الدخول في قواعد فهمهم للنصوص الدينية، وجذورهم التاريخية، وكيف تطور مفهوم السلف منذ نشأته وإلى اليوم، وهل هم عقيدة كلامية أم مذهب فقهي، أم مسلك داخل اتجاه ما، فذاك يحتاج إلى دراسات عدة.

«والسلفية الوهابية مصطلح أطلق على حركة إسلامية سياسية، وقد نشأت في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب(ت١٧٢٩م) ، والأمير محمد بن سعود ، إذ تحالفا لنشر الدعوة التي تبنت المنهج السلفي، وقد زعمت تنقية عقائد المسلمين ، مما يعتبره مخالفة لجوهر الإسلام التوحيدي ، مثل التوسل والتبرك بالأولياء ...الخ، وأسموها البدع ويصفها أتباعها بأنها دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والرجوع إلى الإسلام الصافي على طريقة السلف الصالح في إتباع القرآن والسنة . وعمليا يعني هذا المدخل عدم الاعتماد على المذاهب السنية الأربعة ، والرجوع المباشر إلى القرآن والسنة فاتحين بذلك باب الاجتهاد لعموم القادرين على فهم النصّ ولكن « أي فهم كان» دون أن يشترط عليهم أن يكونوا مجتهدين مؤهلين حتى يتولوا الفتوى ، ومن دون اشتراط التواصل مع ما أنتج من المعرفة المنهجية والمطلوبة للاجتهاد والسوابق الإفتائية للوقائع المناظرة للوقائع المبحوث عن حكمها ، وكان قد سبق لابن رشد الحفيد(ت ٥٩٥هـ) أن برهن على فساد دعوى الاجتهاد المباشر دون

مراعاة للمسالك الدقيقة ، ومعرفة آراء السابقين .[٩٧]

وقد نشأت في القرن العشرين سلفيات متعددة ، أبرزها سلفيتان[٩٨]:

أولًا: السلفية الألبانية: نسبة إلى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وقد رفعت شعار (من السياسة ترك السياسة)، وذلك لأن رؤيتهم في التغيير تصفية النفس وتربية المجتمع لتأسيس قاعدة شعبية تقوم عليها الدولة، وعندهم ذلك هو جوهر العودة إلى منهج السلف الصالح ، والمعلوم أن هذا الاتجاه يتماها مع النظام الملكي في الجزيرة العربية. وترى هذه السلفية أن الديمقراطية نظام طاغوتي، وان الانتخابات محرمة، وأن العودة إلى الكتاب والسنة تعني إبطال المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وأهل الرأي.

ثانيًا : السلفية الجهادية: وتعتمد موقفًا محوريًا هو الكفر والإيمان ، وترتب عليه قضايا الولاء والبراء، وتعتمد الجهاد القتالي وسيلة وحيدة للتغيير، ويستند فكرهم السياسي على فكرة الحاكمية وفرضها بالقوة . من الأمور التي يعرفها الباحثون، وعاشتها المجتمعات المعاصرة أن (السلفية الجهادية) التي نشأت في رحم الإخوان المسلمين- بعد تأثر الكبار الأوائل للإخوان المسلمين بما كتبه محمد بن عبد الوهاب وأبو الأعلى المودودي - تجيد صناعة الموت، وبحجج أبرزها الجهاد في سبيل الله ، وقبل أن نعرض لمفهوم الجهاد ودلالاته عندهم -والتي خالفوا فيها الأمة في ماضيها وحاضرها- ننقل ما كتبه الشيخ حسن البنا(ت١٩٤٩م) مؤسس الإخوان ، إذ يشير في خاتمة بحثه (رسالة الجهاد) إلى فلسفة هذه الجماعة ونظرتها للحياة ، يقول : « إن الأمَّة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب الله لها الحياة العزيزة في الدّنيا والنعيم الخالد في الآخرة . وما الوهم الذي أذلنا إلَّا حبّ الدنيا وكراهية الموت . فأعدّوا أنفسكم لعمل عظيم، واحرصوا على الموت تُوهب لكم الحياة .» [٩٩]

والموت على وفق هذا الرأي ليس قدرًا يعرض للإنسان بفعل إرادة أقوى منه تسلط عليه هذا المصير المحتوم ، وإنما هو صناعة ،أي حرفة يتعلمها الإنسان ويجيد قواعدها

وأحكامه . وعلى هذا الأساس يدعو البنا إلى ما قد يبدو غريبا لغير المسلم ، وهو تعمد الإقبال على الموت والعمل على تحقيقه .[١٠٠]

ويرى عبد الله عزام (ت١٩٨٩م)- الإخواني السلفي- أن الجهاد في الإسلام هو القتال، ولا شيء غيره، إذ يقول في كلمةٍ ألقاها في الولايات المتحدة الأمريكية للتحشيد في القتال الأفغاني : ( ان المتبادر من إطلاق لفظ في سبيل الله هو الجهاد، والجهاد -كما اتفق الفقهاء الأربعة-: هو القتال بالسيف، هذا هو الجهاد ، فلا نريد أن نُميّع الجهاد ، لمّا نرى كلمة جاهدوا في سبيل الله معناه القتال ، الذبح ، هذا معناها. لا تعدّ جلستك هذه جهادًا ، ولا يعدّ خروجك للمسجد جهادًا ، ولا تعدّ جلستك مع زملائك الأحباب ، الأخوة الطيّبين على كتاب من كتب الحديث أو كتب التفسير أو غيره هذا جهادًا ، لا هذا ليس جهاد، الجهاد هو القتال، والجهاد يتكوّن من ثلاث حلقات :الأولى : الهجرة . والثانية : الإعداد والتدريب . والثالثة : الرباط.)[١٠١]

ويقول أيضًا في كتابه (وفي الجهاد آداب وأحكام) : (الجهاد نعني به : القتال على الزيكويك والدوشكة أو الذبح هذا الجهاد في الجهاد .)[١٠٢]

وهو في هذا قد تأثر بمؤسس الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا ، الذي قال في أحدى رسائله: ( شاع بين كثير من المسلمين أنّ قتال العدو هو الجهاد الأصغر، وأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، وكثير منهم يستدلّ لذلك بما يروى : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد القلب أو جهاد النفس . فيحاول بعضهم بهذا التصرف أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ، ونية الجهاد والأخذ في سبيله ، فأمّا هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح ).[١٠٣]

إن هذه الالتباسات التي يُراد لها أن تحيط بمفهوم الجهاد ، يلحظ عليها ما يأتي :

أولًا : ما يسجل على كلام حسن البنا هو سكوته عن مفهوم الجهاد غير القتالي وخاصة ما تعلق منه بالجهاد المالي ، على الرغم من إيراد آيات الجهاد لذلك وتضع الجهاد بالمال في الصدارة قبل الجهاد بالنفس . وهذه الغرابة تتبدد إذا علمنا أنَّ خلفية موقف البنا ليست تقليد لموقف

السلف والخضوع لسلطة النصوص بقدر ما هي مواجهة واقع المسلمين في عصره ، وهو واقع يتسم بهيمنة الاستعمار على أرض الإسلام؛ لذا نجده يقول : « والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفّار ، قد ديست أرضهم وانتُهكت حرماتهم ، وتحكم في شؤونهم خصومهم، وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم، فضلًا عن عجزهم عن نشر دعوتهم ، فوجب وجوبًا عينيا أن يتجهز كل مسلم، وأن ينطوي على نية الجهاد ، وإعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمرًا كان مفعولًا »[١٠٤]

وهكذا اقتضت المصلحة العامّة للمسلمين والواقع المخصوص الذي أضحوا يعيشون في أجوائه أنّ يشدد حسن البنا على المفهوم القتالي للجهاد ، وأن يضع المفهوم السلمي له في الظلّ، كما اقتضى هذا الظرف الجديد أن يتحول حكم الجهاد من فرض كفاية إلى فرض عين[١٠٥].

ثانيًا : إن هذا الفهم الذي استند إلى تعاريف الفقهاء السابقين ، لم يلحظ ظروفهم والاعتبارات الوظائفية الأساسية التي أخذت في تعاريفهم ، وبيان المعنى على نحو الإجمال ، كما بينا ذلك . ثم لا وجه لحصر معنى (في سبيل الله) بالجهاد؛ لأن مفهوم في سبيل الله ينفتح بحدود انطباق منهاج دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه في مجالات الحياة بآفاقها الرحبة ، كالإنفاق المالي في مسالك البر، والإثبات البرهاني العقيدي، والإنجاز العلمي، والخطاب الإعلامي والدعوتي فكلها مواضيع يتسع لها عنوان في سبيل الله .

ثالثًا : يسجل على هذه القراءة نقضها لآراء بعضهم من المسلك نفسه ، ومنهم ابن تيميّة بوصفه المرجع الأبرز في التنظير الديني للحركات (الجهادية) التي تناسلت في أغلبها من حركة الإخوان المسلمين ، بعد أن فقدت إيمانها بالعمل السياسي البعيد الأمد ، وقد عرضنا لرأيه ، وكيف أنه قد وضع للجهاد تعريفًا ومفهومًا عامًا .[١٠٦] وفي هذا الصدد يقول تلميذه ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ): ( سمعت شيخنا يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفّار والمنافقين، فإنّهُ لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أوّلًا حتى يخرج إليهم)[١٠٧].

وهـذا السـلوك والتعامـل في اعتـماد بعـض المقـولات يكشـف عـن انتقائيـة ، أريـد لهـا أن تسـوغ الاعتـماد عـلى أي قـراءة للتعبـير عـن تطلعاتهـم .

رابعًـا : الإسـلام يتجنـب الكلـمات الشـائعة في دعوتـه وبيـان منهاجـه العمـلي شـأنه شـأن غـيره مـن الدعوات الفكريـة والمناهـج الانقلابيـة، بـل يؤثـر لذلـك لغـة مـن المصطلحـات خاصـة، لئـلا يقـع الالتبـاس بـين دعوتـه ومـا إليهـا مـن الأفـكار والتصـورات، وبـين الأفـكار والتصـورات الشـائعة الرائجـة. " فالجهـاد " أيضًـا مـن الكلـمات التـي اصطلـح عليهـا الإسـلام لأداء مهمتـه وتبيـين تفاصيـل دعوتـه، فأنـت تـرى أن الإسـلام قـد تجنـب لفظـة (الحـرب) وغيرهـا مـن الكلـمات التـي تـؤدي معنـى القتـال( War ) في اللغـة العربيـة،[١٠٨] واسـتبدل بهـا كلمـة (الجهـاد) التـي تـؤدي معنـى " بـذل الجهـد والسـعي"، ويرادفهـا كلمـة ( Struggle في اللغـة الإنكليزيـة، وقـد وردت كلمـة «حـرب» في القـرآن الكريم بمعنـى القتـال كـما في هـذه الآيـات الكريمـة ، قـال تعـالى: ﴿كُلَّـمَا أَوْقَـدُوا نَـارًا لِلْحَـرْبِ أَطْفَأَهَـا اللهُ ﴾[١٠٩] أي كلـما جمعـوا وأعـدوا شـتت الله جمعهـم . وقـال تعـالى : ﴿ فَإِمَّـا تَثْقَفَنَّهُـمْ فِي الْحَـرْبِ فَـشَرِّدْ بِهِـمْ مَـنْ خَلْفَهُـمْ﴾[١١٠] أي في القتـال . وقـال تعـالى : ﴿ فَإِمَّـا مَنًّـا بَعْـدُ وَإِمَّـا فِـدَاءً حَتَّـى تَضَـعَ الْحَـرْبُ أَوْزَارَهَـا ﴾[١١١] أي حتـى تأمنـوا وتضعـوا السـلاح.[١١٢]

ولفظـة (الجهـاد) أبلـغ منهـا تأثـيرًا ، وأكثـر إحاطـة بالمعنـى المقصـود. فـما الـذي أفـضى بالإسـلام إلى أن يختـار هـذه الكلمـة الجديـدة، صارفًـا بوجهـه عـن الكلـمات القديمـة الرائجـة ؟ وليـس لذلـك إلاّ سـبب واحـد وهـو أن لفظـة (الحـرب) كانـت ولا تـزال تطلـق عـلى القتـال الـذي يشـب لهيبـه وتسـتعر نـاره بـين الرجـال والأحـزاب والشـعوب لمـآرب شـخصية وأغـراض ذاتيـة .والغايـات التـي ترمـي إليهـا أمثـال هـذه الحـروب لا تعـدو أن تكـون مجـرد أغـراض شـخصية أو اجتماعيـة، لا تكـون فيهـا رائحـة لفكـرة أو انتصـار لمبـدأ. وبـما أن القتـال المـشروع في الإسـلام ليـس مـن قبيـل هـذه الحـروب؛ لم يكـن لـه بـد مـن تـرك هـذه اللفظـة (الحـرب)، فـإن الإسـلام لا ينظـر إلى مصلحـة أمـة دون أمـة، ولا يقصـد إلى النهـوض بشـعب دون شـعب، وكذلـك لا يهمـه في قليـل ولا

كثير أن تملك الأرض وتستولي عليها هذه المملكة أو تلك، وإنما تهمه سعادة البشر وفلاحهم، وله فكرة خاصة ومنهاج عملي مختار لسعادة المجتمع البشري . والصعود به إلى معارج الفلاح. (١١٣)

**المبحث السابع: مفهوم الجهاد في المنظور الغربي.**

في الاتجاه السلفي نفسه نجد الدوائر الغربية المعاصرة تقوم بإطلاق عنوان الجهاد على الحرب المقدسة ، - إما جهلًا وإمّا تجاهلًا- فيورد بعض المستشرقين(١١٤)، والمستغربون(١١٥) في الشرق مقولة : أن الإسلام يخاطب العالم بالسيف ويصورون المسلمين على أنهم جماعة من قطاع الطرق ، لا أصحاب دعوة شريفة حصيفة . نعم المروجين لتلازم السيف والقتل في نظرية الجهاد الإسلامي تلازمًا يأبى الانفكاك لم يبتدعوا مقولتهم هذه من فراغ ، وإنما اعتمدوا على مقولات ترددت بين بعض الفقهاء والجماعات الإسلامية ، ناسين أو متناسين أن هذه الآراء بقية شذوذًا عن النظرية الإسلامية ومسارها العام .

وقد كان من لباقتهم وسحر بيانهم وتشويههم لوجوه الحقائق الناصعة أنه كلما قرع سمع الناس صوت هذه الكلمة (الجهاد) تمثلت أمام أعينهم صورة مواكب من الهمج المحتشدة، مصلتة سيوفها متقدة صدورها بنار التعصب والغضب، متطايرًا من عيونهم شرار الفتك والنهب، عالية أصواتهم بهتاف « الله أكبر» زاحفة إلى الأمام، ما إن رأت كافرًا حتى أمسكت بخناقه وجعلته بين أمرين : إما أن يقول كلمة (لا إله إلا الله) فينجو بنفسه، وإما أن يُضرب عنقه ؛ فتشخب أوداجه دمًا. (١١٦)

ومن قبيل ذلك ما كتبه برنارد لويس من أنه يوجد بين المسلمين وبقية العالم حالة من الحرب تفرضها اعتبارات دينية وقانونية، ولا تنتهي حالة الحرب هذه إلَّا عندما يدخل جميع العالم في الإسلام أو يخضع له . لذا فان معاهدة السلام بين الدولة الإسلامية ودولة غير إسلامية كانت مستحيلة من الناحية الفقهية فالجهاد لا يمكن إنهاؤه ، وإنما يمكن إيقافه فقط ، لأسباب الضرورة، ولأسباب ذرائعية ، عن طريق الهدنة .. ويؤكد برنارد لويس هذا المعنى في موضع آخر بقوله : « إن الحرب ضد العالم المسيحي هي النمط النموذجي

والأصلي للجهاد «[١١٧]

ويرى فهمي هويدي :( أن هناك عبارات ومفردات محمَّلة في ذهن المسلم بأبعاد إيمانية قد يعجز غير المسلم -من الغربين بوجه أخصّ- عن إدراكها ، إذ إن استعمالها قد يمنح انطباعًا معيَّنًا عند المسلم ، وانطباعًا آخر – قد يكون سلبيًّا- عند أولئك الغرباء والمستغربين .. ومن تلك المفردات التي لا يستطيع الغربي أن يستوعبها ويقرأها قراءةً صحيحةً كلمة (الجهاد) . والجهاد عند العقل الغربي فكرة غريبة وغير مفهومة، وهو في أحسن الفروض لا يزيد عن كونه حربًا مقدّسة(Holy war) .. إن كلمة الجهاد أو مجاهد ، لا تجد ترجمة حقيقة لها في اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، الأمر الذي حدا بالكتّاب المنصفين إلى أن يستعملوا الكلمة العربية ذاتها مكتوبة بالحروف اللاتينية.)[١١٨]

ويعزو فهمي هويدي السبب في ذلك إلى أن بعض العبارات الإيمانية التي يصعب على غير المسلم معرفتها ، نتيجة لحمولتها والطبيعة الثقافية لكل من المسلم وغيره ، فمثلًا ، المسلم يفهم الدين على أنه نظام حياة تتعذر فيه التجزئة والتعامل بالتقسيط ، كما يفهم العبادة على أنها كل عمل إيجابي يقوم به وهو منزه فيه عن الهوى والغرض ، مبتغيا فيه صلاح الدنيا والآخرة . وبهذا التصور فإن الصلاة والحج والصوم ليست إلَّا بعض العبادات وليست كل العبادات بأي حال . ولكن الدين عند غير المسلم ليس إلَّا الصلاة والصوم وبعض الفضائل والأخلاق الحميدة ، وهو لا يستطيع أن يتصور الدين أزيد من ذلك ويستريب في كل تصرف يحدث خارج الكنيسة والدين، مشككًا في إمكانية أن يكون تدينًا أو عبادة . ولهذا السبب فان الأمريكي أو الأوربي يعد الفصل بين الدين والدولة شيئًا طبيعيًا ، وأمرًا يستقيم مع خلفيته الثقافية . بينما هذا الفصل بتلك الصيغة الغربية يعد عند المسلم الحق هدما لإحدى الأعمدة الأساسية في التزامه تجاه دينه . ومن تلك المفردات التي لا يستطيع الغربي أن يستوعبها ويقرأها قراءة صحيحة كلمة (الجهاد) أو (الفتح). ذلك أن العقل الغربي يعرف (الحرب المقدسة) ويعرف (التحرير) و(الغزو) و(الاستعمار) و(الاستيلاء) ، يعرف

هـذه المفـردات جيـدًا ، ولـكل منهـا صياغـة واضحـة وتعريفًـا محـددًا ، وخلفيتـه هـي حصيلـة تجربتـه التاريخيـة عـبر القـرون . أمـا الجهـاد في سـبيل الله ، فهـو شيء لا يعرفـه عـلى الإطـلاق .[١١٩] ومـما سـاعد عـلى ذلـك الصـورة الذهنيـة في الفكـر الغـربي التـي وفرتهـا أعـمال العنـف المسـلح الـذي خاضتـه جماعـات العنـف السـلفية في ضربهـا للحيـاة المدنيـة المخالفـة لهـا، بغـض النظـر عـن سـعة التدمـير وضيقـه وباسـم الجهـاد الإسـلامي، وبأدلـة قـاصرة غـير مثبتـة بالأدلـة الشرعيـة المعتـبرة. فهـذه الصـورة الذهنيـة تتحول إلى صـورة نمطيـة عندمـا تتكـرر عـلى نحـو ثابـت وجامـد ، ولاسـيَّما عندمـا تتسـم بالتبسـيط ، والحكـم التعميمـي العاطفـي ، وسـمة الصـورة النمطيـة أنهـا توظـف أسـاليب عـدة لتـترك أثرها ووقعهـا في إدراك المشـاهد ، أو المتابـع لمحتـوى الوسـيلة الإعلاميـة ، كتبسـيط المعلومـات وديمومتهـا، وتقديمهـا في جرعـات سـهلة التقبـل ، لعـدم قـدرة أي فـرد عـلى ملاحقـة السـير الجـارف مـن المعلومـات التـي تقـدم لـه ، كـما تعمـل الوسـائل الإعلاميـة عـلى طـرح وعـرض بصـورة متكـررة حتـى تنطبـع وتترسـخ في الأذهـان، ويظهـر الشـخص أو مجموعـة الأشـخاص الذيـن بنينـا عنهـم صـورًا نمطيـة مسـتقاة مـن وسـائل الإعـلام عـلى أنهـم أشـخاص معروفـون لدينـا، كأننـا نعرفهـم حـق المعرفـة، بالرغـم مـن أننـا لم نقابلهـم قـط، ولم نعـرف أفكارهـم بصـورة صحيحـة، فقـد شـكلنا عنهـم صـور معنويـة إدراكيـة، وتـم تفعيـل العواطـف والأفـكار المبسـطة في الحكـم والقـراءة .[١٢٠]

**الخاتمة:**

ويتضح لنا مما تقدم:

أولًا : لم يكـن لمفهـوم الجهـاد حضـورًا مسـتقلًا عـن الاشـتراطات الزمنيـة المتبدلـة والمتغـيرة، فـكل جيـل ومرحلـة –كالملكيـة والمدنية مثـلًا– أعطت تفسـيرًا وتأويـلًا بنـاءً عـلى متطلباتهـا. ومـن ثَّـم كان السـبيل لثقافـة دينيـة تسـتوعب الواقـع وتشـخص اسـتحقاقاته، أن يتوفـر الوعـي في إعـادة قـراءة الـتراث الدينـي تبعًـا لحاجـات العـصر، والمسـاهمة في تكشـيف التأويـلات الحرفيـة للنـص الداعيـة إلى تطبيـق النـص المطلـق عـلى واقـع غـير متناهـي بـما فيـه مـن مفارقـات كـما هـو حـال السـلفيات المعـاصرة التـي اسـتغرقت

في النص وأدواته مبتعدة عن التركيز في ملاكات الأحكام ومناطاتها، الأمر الذي جعل أفكارها تصطدم مع مقاصد الخطاب الشرعي ومطالبه. وعليه، لا يمكن أن نتجاهل دلالات الواقع في فهم الدين. فالعمل على ضوء هذه الدلالات بشأن الجهاد يصبح المتعين في مضمونه ووسائله غير ثابت الكيفية. وهكذا يتضح لنا ان القناعات المختلفة والمتبدلة في مفهوم الجهاد الباعث الحقيقي لها كان الواقع والأدوات المعرفية التي استخدمت في فهم الخطاب ومقصوده.

ثانيًا: إن مفهوم الجهاد الذي نراه مشروعًا في الإسلام هو الجهاد الدفاعي بمدلوله السياسي المعاصر، لأجل الحماية الوقائية عن الاعتداء الواقع أو المتوقع فيكون غايته ومنتهاه دفع العدوان الذي قد يبدأ من العزم والإرادة إلى الكيد والتخطيط ثم ينتهي بحرب مباغتة، فيكون الواجب هو التصدي للعدوان بمفهومه الواسع الذي يشمل العمليات الاستباقية أو التأديبية، ولا يعني عندئذ الابتداء بعد تحقق الإرادة بالكيد والتخطيط من قبل الطرف الآخر. ولا ينحصر الجهاد بالتصدي للعدوان في المستوى العسكري كما أراد البعض تطويقه، بل يتعدى لمستويات عدة كالتصدي للمؤامرات السياسية، كما لو جرى العمل على مصادرة القرار السياسي للكيان الإسلامي وفرض حكومة عميلة وجائرة. أو التصدي للعدون الاقتصادي كفرض اتفاقيات مذلة وناهبة لثروات الشعب المسلم.أو التصدي للغزو الثقافي أو التشويه الإعلامي.

**الهوامش :**

١- ينظر: الشيخ وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، الناشر: دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى-١٩٨٦م، ١/ ٢٩٢.

٢- ينظر: الميرزا الشيرازي (ت١٢٩٠هـ) ، تقرير المجدد الشيرازي ، تحقيق ونشر : تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التّراث ، الطبعة الأولى – ١٤٠٩ هـ، ١/ ١٣.

٣- ينظر: العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ) ، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، إخراج وتعليق وتحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال، الناشر: مركز النشر- مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثالثة – ١٤٠٤هـ ، ٧١.

٤- الآمدي (ت٦٣١هـ) ، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية- ١٤٠٢هـ ، ١/ ٢٧. وينظر: الشيخ علي المشكيني، أصول الفقه عند الشيعة

، النـاشر : دفـتر نـشر الهـادي – قـم ، الطبعـة الخامسـة ، ١٤١٣هـ ، ١١٧.

٥- ينظـر : الآمـدي (ت٦٣١هـ) ، الإحكام في أصـول الأحـكام ، ١/ ٢٧.

٦- ينظـر : الشـيخ وهبـة الزحيـلي ، أصـول الفقـه الإسـلامي ، ١/ ٢٩٣.

٧- ينظر:أحمـد حسـن الزيات ، وحي الرسـالة، النـاشر :مكتبـة نهضـة مـصر الطبعـة الخامسـة-١٩٤٦، ٣/ ١٧٩-١٨١.

٨- العـين، تحقيـق: الدكتـور مهـدي المخزومـي، والدكتـور إبراهيـم السـامرائي، النـاشر: مؤسسـة دار الهجـرة ، الطبعـة الثانيـة -١٤٠٩هـ ،٣/ ٣٨٦.

٩- سورة التوبة ، ٧٩.

١٠- الصحاح ، ٢/ ٤٦٠-٤٦١.

١١- معجم مقاييس اللغة ،١/ ٤٨٧.

١٢- النهايـة في غريـب الحديـث والأثـر، تحقيـق : طاهـر أحمـد الـزاوي ، محمـود محمـد الطناحـي، النـاشر : مؤسسـة إسـماعيليان – إيـران ، الطبعـة الرابعـة -١٣٦٤ش. ١/ ٣١٩.

١٣- لسـان العـرب ، النـاشر : نـشر أدب الحـوزة- ١٤٠٥هـ ، ٣/ ١٣٣-١٣٥.

١٤- القاموس المحيط ، ١/ ٢٨٦.

١٥- الحج ، ٧٨.

١٦- الراغـب الأصفهـاني (٤٢٥هـ) ، المفـردات في غريـب القـرآن ، ١٠١.

١٧- الغـزالي (ت٥٠٥هـ) ، المسـتصفى، تصحيـح: محمـد عبـد السـلام عبـد الشـافي، النـاشر : دار الكتـب العلميـة – بـيروت ، – ١٩٩٦ م ، ٣٤٢.

١٨- تقـرن بعـض الآيـات القرآنيـة بـين الجهاد وضرورة التحمـل والصـبر، قـال تعـالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [سـورة آل عمـران/ ١٤٢]. وقـال تعـالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سـورة النحـل/ ١١٠]. وقـال تعـالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [سـورة محمـد/ ٣١].

١٩- ينظر:السـيد محمـد حسـين فضـل الله، كتـاب الجهـاد، النـاشر : دار المـلاك –بـيروت، الطبعـة الثانيـة- ١٤١٨هـ، ١٣-١٤.

٢٠- الشـوكاني (ت١٢٥٥هـ) ، فتـح القديـر، النـاشر : عـالم المعرفـة – بـيروت ، ٤/ ١٩٣.

٢١- ينظـر : محمـد خـير هيـكل ، الجهـاد والقتـال في السياسـة الشرعيـة ، البيـارق – سـورية ، الطبعـة الأولى ، ٣٩-٤٠.

٢٢- كشـاف اصطلاحـات الفنـون ، اسـتانبول – ١٩٨٤م ، ١/ ١٩٧.

٢٣- قطـر المحيـط ، بـلا مشـخصات، ١/ ٣٢٢.

٢٤- د. نـصر حامـد أبـو زيـد(ت٢٠١٠م) ، مفهـوم النـص دراسـة في علـوم القـرآن ، النـاشر : مؤمنـون بـلا حـدود ، الطبعـة الأولى – ٢٠١٧م ،٧٥.

٢٥- ينظـر : د. نـصر حامـد أبـو زيـد ، مفهـوم النـص دراسـة في علـوم القـرآن،٧٧.

٢٦- ينظـر : جـلال الديـن السـيوطي (٩١١هـ) ، الإتقـان في علـوم القـرآن، مطبعـة مصطفـى البـابي الحلبـي – القاهـرة، ١٣٧٠هـ ، الطبعـة الثالثـة،١/ ٩.

٢٧- يؤكد هذا المعنى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، يقول: «والجهاد والمجاهدة من المصطلحات القرآنية « التحرير والتنوير، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، الطبعة الأولى -١٤٢٠هـ، ٢/ ٣٢٠.

٢٨- سورة العنكبوت، ٦.

٢٩- سورة العنكبوت، ٨.

٣٠- سورة العنكبوت، ٦٩.

٣١- سورة لقمان، ١٥.

٣٢- سورة الفرقان، ٥٢.

٣٣- ينظر: الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى -١٤٠٩هـ، ٧/ ٤٩٨. والقرطبي(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ، ١٣/ ٥٨.

٣٤- السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٥/ ٢٢٨.

٣٥- سورة النحل، ١١٠.

٣٦- سورة النساء، ٩٥.

٣٧- ينظر: الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه ونمارسه، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ٧٤.

٣٨- سورة التوبة، ٤١.

٣٩- ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة –بيروت، الطبعة الثانية، ٦/ ٢٨.

٤٠- السلطة الإسلامية العليا « وأعني به الجهة الشرعية التي يفوض لها الإطلاع على الأمور العامة للمسلمين. من دون أن نحدّد ونطوق هذه السلطة العليا، سواء كانت ولاية الفقيه العامّة أو شورى الفقهاء أو نظريّة ولاية الأمّة على نفسها أو غير ذلك، فهو بحثٌ يرجع فيه إلى الفقه السياسيّ الإسلاميّ، وهو خارج عن عملنا في هذا الجانب.

٤١- سورة التوبة، ٤٤-٤٦.

٤٢- ينظر محمود محمد أحمد، تطور مفهوم الجهاد، ٣٨.

٤٣- سورة، الصف، ١٠-١١.

٤٤- ينظر: الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٩/ ٥٩٦.

٤٥- محمود محمد أحمد، تطور مفهوم الجهاد، ٣٧.

٤٦- داود بن سليمان الغازي (ت٢٠٣هـ)، مسند الرضا (عليه السلام)، تحقيق: محمد جواد الجلالي، الناشر: مركز مكتب الإعلام الإسلامي- ١٤١٨هـ، ١٢٤. والشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١)، بحار الأنوار، الناشر: مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان-١٤٠٣هـ، ٦٧/ ٧١.

٤٧- الحر العاملي (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث- قم، الطبعة: الثانية- ١٤١٤هـ، ١٦/ ١٣٤.

٤٨- القاضي النعمان (ت٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف – القاهرة - ١٩٦٣ م، ١/ ٣٤٣. وميرزا حسين النوري

(ت١٣٢٠هـ) ، مستدرك الوسائل ، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الطبعة الثانية - ١٩٨٨ م ،١١/ ١٦.

٤٩- الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ) ، الكافي ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران، الطبعة الثالثة، ٥/ ٥٤.

٥٠- ينظر : أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ، مسند أحمد ، الناشر: دار صادر ، ٣/ ٣٠٠.

٥١- سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر : دار الفكر - بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ، ٣/ ٨٨.

٥٢- سنن الترمذي ، ٣/ ٨٨.

٥٣- ابن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ) ، المصنف ، تحقيق : سعيد اللحام ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى -١٤٠٩هـ ، ٤/ ٥١٦.

٥٤- ينظر : ابن أبي شيبة الكوفي ، المصنف، ٤/ ٥٦٥.

٥٥- ينظر : محمد خير هيكل ، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، ٤٣.

٥٦- ينظر: الشيخ محمد رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ) ، تفسير المنار ، الناشر: مطبعة المنار – القاهرة-١٣٤٦هـ ، ١٠/ ٣٠٧.

٥٧- ينظر:الشيخ وهبة الزحيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، الناشر : دار الفكر – دمشق ، الطبعة الثالثة – ١٤١٩هـ ، ٣-٣٣.

٥٨- ينظر: الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى ، ٢٩٠. المبسوط في فقه الإمامية ٢/ ٨ . وابن إدريس الحلي (ت٥٩٨هـ) نقل عين عبارة الطوسي في النهاية ومن دون أي تعليق ، ممّا يدل على أن رأيه مثل رأي الشيخ ، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى ، ٢/ ٤ . والقاضي ابن البراج (ت٤٨١هـ) ، المهذب ، ١/ ٢٩٧ . وابن حمزة الطوسي ( ت٥٦٠ هـ )، والوسيلة إلى نيل الفضيلة ، ١٩٩. ويحيى بن سعيد الحلي (ت ٦٨٩هـ) ، الجامع للشرائع، ٢٣٣ . والعلامة الحلي (ت٧٢٦ه) ، تذكرة الفقهاء ، ٩/ ١٩. والشهيد الثاني (ت٩٦٦هـ) ، الروضة البهية ، ٢/ ٣٧٩ . والسيد علي الطباطبائي (ت١٢٣١هـ) ، رياض المسائل ، ٧/ ٤٤٧ . والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت١٢٢٨هـ) كشف الغطاء ، ٢/ ٤٠٦ . والشيخ محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام ، ٢١/ ١١ .

٥٩- الشيخ محمد جواد مغنية(ت١٤٠٠هـ)، الكاشف ، الناشر : دار العلم للملايين - بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م، ١/ ٢٩٧.

٦٠- العلاقات الدولية في الإسلام ،العلاقات الدولية في الإسلام ، الناشر : دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٩٩٥م، ٩٢. وهبة الزحيلي ، العلاقات الدولية في الإسلام، الناشر: دار المكتبي – دمشق ، الطبعة الأولى -١٤٢٠هـ ، ٢٨ . آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ٩٠-٩٤ ، والشيخ سيد سابق ، عناصر القوة في الإسلام ، نشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٩٨٦م ، ٢١٠-٢١١ . وأحمد شلبي، الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي ، نشر : مكتبة النهضة – مصر – الطبعة الثالثة –١٩٨٢م ، ٥٨-٢٢ .

٦١- ومنهم : الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، جهاد الأمة ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الأولى -١٩٩٧م ، ٢٣٩ . وفقه العنف المسلح في الإسلام ، الناشر: المؤسسة الدولية- بيروت ، الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ ، هامش / ٤٩ . والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي ، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه ونمارسه ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق ،٩٤. والدكتور جودت سعيد ، حواره لمجلة الحياة الطيبة ، ٩/ ٣٢. الشيخ حيدر حب الله ، الجهاد الابتدائي الدعوي في الفقه الإسلامي ، مجلة الاجتهاد والتجديد ، خريف ١٤٢٨هـ ، ٨/ ٧٢. والشيخ يحيى محمد ، فهم الدين والواقع، ١٨١.

٦٢- غاية المراد في شرح نكت الإرشاد، تحقيق: رضا المختاري - الناشر:مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية – قم ، الطبعة الأولى -١٤١٤هـ ، ١/ ٤٦٩.

٦٣- مسالك الأفهام ، تحقيق ونشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى -١٤١٤هـ ، ٣/ ٧.

٦٤- رياض المسائل ، تحقيق ونشر : مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، الطبعة الأولى -١٤١٥هـ ،٧/ ٤٤١-٤٤٢.

٦٥- جواهر الكلام ، تحقيق : الشيخ عباس القوچاني ، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران، الطبعة الثالثة- ١٣٦٢ش ، ٢١/ ٣.

٦٦- مسالك الافهام ، ٣/ ٧.

٦٧- فقه الإمام الصادق (ع) ، الناشر : مؤسسة دار الكتاب – قم ، الطبعة : الثالثة – ١٤١٣ ،١٣/ ١٠.

٦٨- ابن النجيم المصري(ت٩٧٠هـ) ، البحر الرائق ،تحقيق : الشيخ زكريا عميرات ، الناشر : منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى -١٤١٨هـ ، ٥/ ١١٩ . وينظر: أبو بكر الكاساني (ت٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع ، الناشر : المكتبة الحبيبية – باكستان ،الطبعة الأولى -١٤٠٩هـ ، ٧/ ٩٧.

٦٩- الدر المختار ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، الناشر : دار الفكر – لبنان – ١٤١٥هـ ، ٤/ ٢٩٦.

٧٠- الخطاب الرعيني (ت٩٥٤هـ) ، مواهب الجليل ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى -١٤١٦هـ ، ٤/ ٥٣٦.

٧١- حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم الغزي على مختصر أبي شجاع ، الناشر : مطبعة بولاق – ١٣٠٧هـ ، ٢/ ٢٦٨.

٧٢- مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي ، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ، منشورات المكتب الإسلامي – دمشق ، ٢/ ٤٩٧.

٧٣- مجموع الفتاوى ، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، ١٠/ ١٩٢-١٩٣.

٧٤- ينظر: د.نصر حامد أبو زيد، هكذا تكلم ابن عربي، الناشر: مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية- الرباط ، الطبعة الأولى-٢٠١٧م ،٢٤-٢٥.

٧٥- ينظر : رينولد نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ٧٨-٧٩.

٧٦- محيي الدين ابن عربي ، التعريفات ، بيروت- مجلة الأبحاث ، الجامعة الأمريكية، العدد ٣٦/ ١٩٨٨م ، ١٧.

٧٧- لسان الدين الخطيب ، ومحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني ، روضة التعريف بالحب الشريف ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٩٦٦م ، ٤٧٥.

٧٨- ينظر : محمود محمد أحمد ، تطور مفهوم الجهاد ، ٧٨.

٧٩- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، الناشر : دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤١٣هـ ، ٢٥- ٦٣.

٨٠- الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: برزيز اذكائي، مركز ميراث مكتوب – طهران – ١٣٨٠ش ، الطبعة الأولى – ٤٢٠.

٨١- ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، دار التراث العربي – بيروت – ١٣٨٧هـ ، ٤/ ٣٣٢.

٨٢- جامع الأصول في الأولياء ، ٦٠.

83- Malik , Hafeez , Political, Profile of Sir Sayyid Ahmad Khan , A D ocumentary Record , (Islamabad, Pakistan: National Institute of Historical and Cultural Research, Quaid-I-Azam University Press), 1982. p. 322.

٨٤- ينظر : محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، الناشر : دار الشروق – بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ ، ٣/ ٥٦.

٨٥- محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، ٥٦.

٨٦- محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، ٥١.

٨٧- محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، ٥٠.

٨٨- حمادي ذويب ، الجهاد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر ، ١٦.

٨٩- محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، ٥٧.

٩٠- ينظر : محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، ٥/ ١٠٢-١٠٣.

٩١- محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، ٥/ ١٠٢-١٠٣.

٩٢- محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، ٥/ ١٠٢-١٠٣.

٩٣- تفسير المنار ، ١٠/ ٤٧٣.

٩٤- الشيخ محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، ١٠/ ٤٧٣.

٩٥- الشيخ محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، ١/ ١٨٧.

٩٦- يعد الحفاظ على سمعة الإسلام من أدلة التشريع العليا التي ينبغي للجميع الحفاظ عليها ، فقد روى جابر بن عبد الله : ( لما قسم رسول الله (صلى الله عليه –وآله– وسلم) غنائم هوازن بين الناس بالجعرانة ، قام رجل من بني تميم فقال : اعدل يا محمد ! فقال النبي (صلى الله عليه –وآله– وسلم) : ((ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ، لقد خبت وخسرت إنْ لم أعدل )). فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله : ألا أقوم فاقتل هذا المنافق ؟ فقال (صلى الله عليه –وآله– وسلم) : ((معاذ الله أن تتسامع الأمم أنّ محمدًا يقتل أصحابه )). ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد ، / ٣ ٣٥٤-٣٥٥ .

٩٧- ينظر: السيد محمد الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية ، الناشر : الغدير للطباعة والنشر - بيروت،الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ ، ٥٩٠. ود.عبد الأمير كاظم زاهد، إشكالية فهم النصوص المرجعية لدى الأصولية المعاصرة، دار الانتشار العربي ، الطبعة الأولى -٢٠١٦م، ٥٧.

٩٨- ينظر : د. محمد العبد الكريم ، صحوة التوحيد دراسة في الخطاب السياسي الإسلامي، الناشر: الشبكة العربية للأبحاث ، الطبعة الأولى -٢٠٠٢م ، ١٣٦- ١٤٠.

٩٩- مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ، المكتبة التوفيقة – القاهرة، ٣٠٠.

١٠٠- حمادي ذويب ، الجهاد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، ٤.

١٠١-عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر، موقع : منبر التوحيد والجهاد http: / /www.tawhed.ws\r١?i. تم الإطلاع عليه بتاريخ ، ٢/ ٥/ ٢٠١٦م .

١٠٢-موقع : منبر التوحيد والجهاد:\http: / /www.tawhed.ws\ i?٢١. ٢٩، وينظر : محمد عبد السلام فرج ألجهاد الفريضة الغائبة، بلا مشخصات ، مكتبة فلسطين للكتب المصورة ،/ / :https palstinebooks.blogspot.com ألا ٢٥. تم الإطلاع عليه بتاريخ ، ٢/ ٥/ ٢٠١٦م .

١٠٣- مجموعة رسائل البنا ، بلا مشخصات ،٣٠٥.

١٠٤-مجموعة رسائل البنا ، بلا مشخصات ،٢٩٦.

١٠٥- ينظر : حمادي ذويب ، الجهاد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر ، الناشر : مؤمنون بلا حدود ، ٢٠١٨م ، ٦.

١٠٦- حيدر شوكان السلطاني ، فقه الجهاد في ضوء المتغيرات المعاصر، الناشر : دار الرافدين ، ٢٠١٧م ، ٤٢.

١٠٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ٤٧٨.

١٠٨- ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ١/ ٣٥٨. والفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ١/ ٥٣.

١٠٩- سورة المائدة ، ٦٤.

١١٠- سورة الأنفال ، ٥٧.

١١١- سورة محمد ، ٤.

١١٢- ينظر:الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) ، التبيان في تفسير القران ، ٣/ ٥٨٣. ٥/ ١٤٤. ٩/ ٢٩١. والشيخ وهبة الزحيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ٣١.

١١٣- أبو الأعلى المودودي ، الجهاد في سبيل الله ، بلا مشخصات ، ٤. وينظر: الشيخ وهبة الزحيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ٣١.

١١٤- ينظر: برنارد لويس ، تراث الإسلام ، الناشر: سلسلة عالم المعرفة الكويتية ، ٢٥٥- ٢٦١.

١١٥- ينظر : د. صبحي المحمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام ، بلا مشخصات ، ٥١.

١١٦- أبو الأعلى المودودي ، الجهاد في سبيل الله ، بلا مشخصات ، ٢.

١١٧- برنارد لويس، تراث الإسلام ، ٢٥٥- ٢٦١.

١١٨- مواطنون لا ذمّيون ، الناشر : دار الشروق – القاهرة -١٩٩٠م ، ٢١٨-٢٢٠.

١١٩- مواطنون لا ذمّيون ، ٢١٨-٢١٩.

١٢٠- ينظر: يامين بودهان، تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي ، مجلة الوسيط للدراسات الإعلامية، الناشر: دار هومة-الجزائر، ٢٠٠٦م ، العدد ١٢.

## Abstrat

Some concepts live in their connotations and contents, stages of development and change, so they take different aspects of the first content that they were developed for, and all of this is a result of the connotations of reality with which dialectic of influencing and affecting

The importance of this research lies in the fact that revealing the concept of jihad in Islamic jurisprudence and its dialectic with religious experience is a central matter required by the transformations of reality and its implications, not only on the text (the Qur'an and the Sunnah) but on the arbitrary interpretations formulated by some Salafi jihadist tendencies, and trying to impose them as a certain interpretation of the text Islamic culture and non-recognition of civilized progress and its entitlements. This made literal reading collide with the progressively developing reality.

حواشی مفید